

بکیر سعید اعوشی

رجال خالدون

فی

دائرة الاسلام

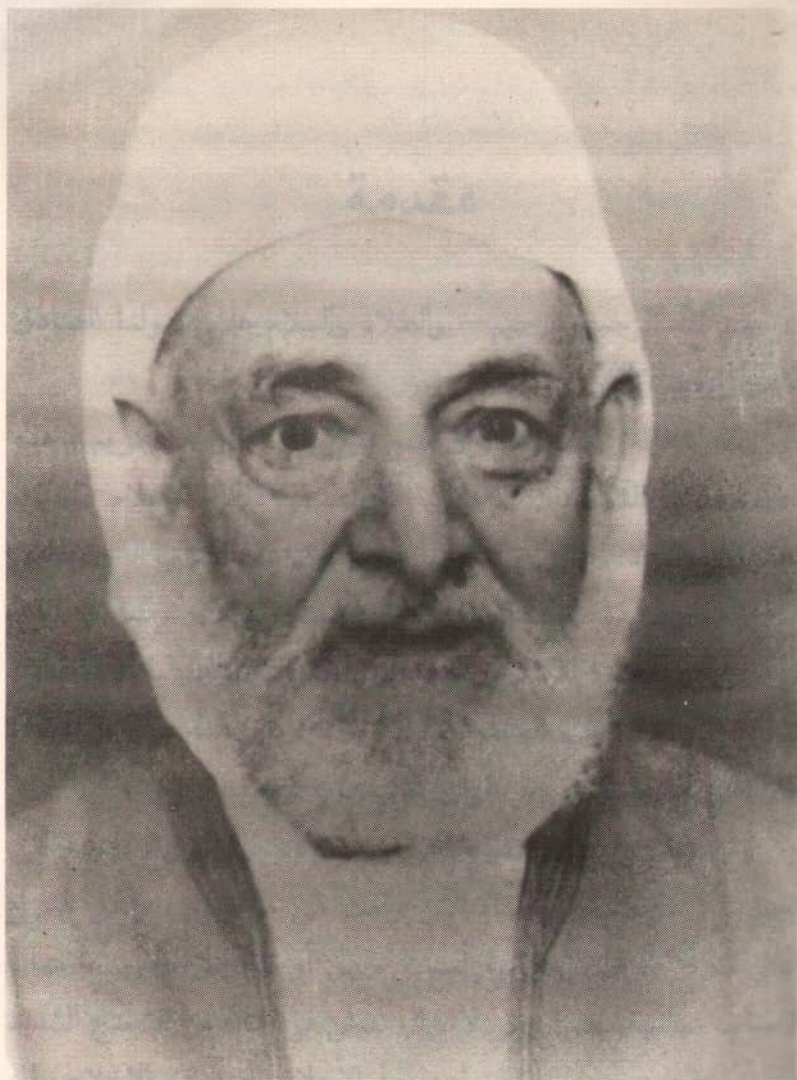
119

الإهداء

إلى روح شيخنا الكريم ، الجندي المجهول المجاهد
الصبور ، الشيخ صالح بن قاسم بابكر رحمه الله .
والى رجال الإصلاح الذين عملوا و يعملون بإخلاص
وصبر وتضحية ، لتحقيق مجتمع إسلامي صالح في
سلوكه أهدي : هذا الكتاب المتواضع ، اعترافا بجميلهم
في سبيل بناء أمتنا الإسلامية .

الشيخ صالح بن قاسم بابكر رحمه الله

1976 - 1984 م



الشيخ صالح بن قاسم بابكر رحمه الله

1904 - 1976 م

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم - والصلاة والسلام على رسولنا الصادق
الأمين محمد ﷺ .

وبعد : فإنه يطيب لنا ، أن نضع بين يدي القارئ الكريم ، هذه
المجموعة من الشخصيات الإسلامية الخالدة في ذاكرة الإسلام ، بحيث
أطلقنا هذه الدلالة التاريخية نفسها على عنوان هذا الكتاب الذي سيلقي
الأضواء على عدة شخصيات إسلامية عظيمة ، بحيث تركت بصمات
قوية في تاريخنا الإسلامي ، إن هذه الدراسة التحليلية تهدف أولا
وأخيرا إلى أخذ العبرة المبصرة من تاريخنا ، يقول الله عز وجل ﴿لقد
كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب﴾ (يوسف : 111) .

ومن هنا نقول : إن التاريخ هو دروس وعبر في التربية العملية التي
تجعلنا لا نرتكب الأخطاء التي وقعت في ماضينا ، ولكن الشيء
المؤسف أن أمتنا الإسلامية أمست تجهل أو تتجاهل بعض أعلامها ،
لأسباب سياسية محضة وهي لا تزال تعيش في حالة من التصدع الشديد
والتمزق في عمقها بسبب ابتعادها عن الأخلاق القرآنية ، الإخلاص لله

في أعمالها والإستقامة في سلوكها ، لا سيما فضيلة التقوى التي هي الميزان الحقيقي والحد الفاصل بين المسلمين مهما اختلفت ألوانهم ولقبتهم ومذاهبهم الإجتهدية في الدين ، إذ لا تفاضل بينهم إلا بالتقوى لقوله تعالى : ﴿إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات : 13) .

ويقول الرسول الكريم ﷺ «أيها الناس ! إن ربكم واحد وإن أباكم واحد . كلكم لآدم وآدم من تراب أكرمكم عند الله أتقاكم» . وفي رحاب هذه الأخلاق القرآنية نقول : إن الشخصيات التي سنستعرض حياتها الدينية والإجتماعية قد جسمت فضيلة التقوى في سلوكها العملي الصالح ، وحسبنا دليلا على ذلك سيرة أبي حمزة المختار الشاري القائل (يا أهل المدينة الناس منا ونحن منهم إلا مشركا عابد وثن أو مشرك أهل الكتاب ، أو إماما جائرا) .

هذه الفقرة تجلنا نرى أن هؤلاء قد جسموا الإسلام الناصع في سلوكهم اليومي ، ما دام مصدر هذا السلوك الصالح هو القرآن الكريم ، والسنة المطهرة وسيرة الصحابة رضي الله عنهم ، والحق يقال عنهم : إنهم منارة أخلاق ورشد وهداية لكل مسلم مهما كانت مدرسته الإجتهدية التي ينتمي إليها ، فعلى الأمة الإسلامية أن تقرأ مرة أخرى تاريخها الطويل كله ، بعقل متدبر وواع ، دون أحكام مسبقة في حق هؤلاء الرجال وغيرهم ، وإلا سنصاب بفقدان الذاكرة السليمة ، لقد صدق

الحكيم رمضان حمود في حكمته الخالدة إذ قال (إذا جهلت أمة تاريخها فقد جهلت مستقبلها ، وإذا جهلت مستقبلها فقد أسرت نفسها بيدها وألقتها في يد غيرها) .

والجدير بالذكر ، أن هذه الفكرة الحيوية قد طرحناها في كتابنا - إسلام اليوم بين الأصالة والتحريف - إذ قمنا بتسليط الأضواء على عظماء أمتنا الإسلامية ومن بينهم : الإمام عبد الوهاب التميمي ، الإمام جمال الدين الأفغاني ، الإمام عبد الحميد بن باديس ، الإمام أبو الأعلى المودودي ، الإمام حسن البنا ، الإمام الشهيد السيد قطب ، رحمهم الله أجمعين .

وختاماً أستعين بقوله تعالى : ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَيَسِيرَ اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ، وَهُمْ يَسْتَرْدُونَ إِلَىٰ عَالَمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ، فَيَنْبِئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (التوبة : 105) والسلام .

غرداية : 1 رمضان 1414 هـ الموافق لـ 12 فيفري 1994

الشخصية الأولى

الإمام جابر بن زيد

عظيم من عظماء أمتنا الإسلامية ، في أخلاقه ، وعلمه ، وجهاده ، فهم حقيقة الإسلام ، وأسرار شريعته الغراء ، لقد ضحى بزهرة حياته ، لتحقيق المجتمع الإسلامي القائم على أساس أرضيته الصلبة شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا عبده ورسوله ، بهذه الشهادة يتقرر نظام حياة البشرية كلها ، مهما اختلفت لغاتهم وألوانهم وجنسياتهم وأوطانهم . وهكذا فإن هذا الإمام أراد أن يؤسس حركته الإسلامية على فضيلة التقوى التي هي أصل مكارم الأخلاق الإسلامية ، وهذا ما تهدف إليه التربية القرآنية ، ومن يكون هذا الإمام الكبير إنه جابر بن زيد .

نسبه ومولده :

هو أبو الشعثاء جابر بن زيد الأزدي الجوفي البصري من قبيلة

اليحمد العربية العمانية ، وكان مولده في مدينة فرق من ولاية نزوى ، في المنطقة الداخلية من سلطنة عمان ، وهي أرض زراعية خصبة تقع على سفوح الجبل الأخضر .

أما بالنسبة إلى مولده ، فإن المصادر القديمة تحدده ما بين عامي 18 و 22 للهجرة وأما وفاته فقد كانت سنة 93 للهجرة بالبصرة .

حياته الثقافية وآثاره العلمية :

وفي هذا المنظور التاريخي ، يمكننا أن نشير إلى بيئته الإجتماعية التي نشأ فيها وترعرع في رحابها ، وهي أسرة عربية إسلامية ، عرف عنها التقوى والورع والعمل الجاد ، في هذه البيئة الإسلامية العريقة في عروبتها ودينها ، تلقى مبادئ القراءة والكتابة وبعض العلوم الإسلامية ، فحفظ القرآن الكريم ، إلا أن جابر بن زيد لم يشف غلته من معين بيته العمانية ، إذ كانت له إرادة صادقة ، رغبة في التبحر في العلوم الشرعية والتزود بكل المعارف التي تؤهله وتجعله إماما من أئمة الإسلام والجدير بالذكر ، أن البصرة آنذاك كانت قطب الرchy لكل الأحزاب السياسية والدينية كالخوارج والإباضية والشيعة والمعتزلة والقدرية والجبرية ، ويؤكد كذلك المؤرخون أن البصرة كانت تتمتع برخاء كبير نتيجة لعلاقاتها التجارية مع العالم الإسلامي مشرقه ومغربه . وهكذا يمكننا القول بأن البصرة كانت تمثل حينئذ عصارة الفكر الإسلامي ومدارسه السياسية والفقهية والفلسفية .

في هذه المدينة الإسلامية والحجاز ، تمكن جابر بن زيد من أن يأخذ العلوم الشرعية عن الصحابة رضي الله عنهم كعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن مسعود ، وأنس بن مالك . وعائشة أم المؤمنين رضي الله عنها ، التي كان يسألها عن سنة الرسول ﷺ قولاً وعملاً . وكل ما يتعلق بحياته الخاصة والعامة .

ويروى عن جابر بن زيد أنه كان يقول : (أدركت سبعين بدرياً فحويت ما عندهم إلا البحر - ويعني عبد الله بن عباس) .

مكانته العلمية قرآناً وحديثاً وفقها :

قال عبد الله بن عباس رحمه الله : (اسألوا جابر بن زيد فلو سأله أهل المشرق والمغرب لوسعهم علمه) وقال كذلك : (جابر بن زيد أعلم الناس) وعنه أنه كان يقول عجباً لأهل العراق كيف يحتاجون إلينا وعندهم جابر بن زيد . لو قصدوا نحوه لوسعهم علمه .

واعتماداً على هذه الشهادة الصادرة عن الصحابي الجليل العالم يمكننا أن نقول : إن جابر بن زيد رحمه الله كان له باع طويل في علوم القرآن والحديث والفقه .

قال عنه شيخ الإسلام ابن تيمية : وأما التفسير ، فإن أعلم الناس به أهل مكة لأنهم أصحاب ابن عباس كمجاهد وعطاء بن أبي رباح وعكرمة وغيرهم من أصحاب ابن عباس كطاوس وأبي الشعثاء وسعيد بن جبير وأمثالهم .

وقال القرطبي في أحكام القرآن : إن جابر بن زيد إمام من أئمة المسلمين .

ويقول الأستاذ الكريم يحيى بكوش عنه : (ولم يكن جابر بن زيد عالما بالتفسير فحسب بل كان أيضا من أصحاب القراءات) .
أما بالنسبة إلى علم الحديث فإن هناك عدة تلاميذ قد تلقوا عنه العلوم ورَوَوْا عنه الأحاديث كقتادة ، الشيخ البخاري وأيوب بن زيد وضمام بن السائب وحيان الأعرج الجوفي البصري وأبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة الذي روى عنه الربيع بن حبيب مسنده المشهور عند الاباضية .

ثم يقول الأستاذ يحيى بكوش عنه : (يعتبر جابر بن زيد من أئمة السنة في البصرة بلا منازع وقد وثقه جميع نقاد الحديث وأجمعوا على ضبطه وعدالته ، بل يعتبر من رجال أصح الأسانيد) .

وفي ضوء هذا ، لا بد من الإشارة إلى ديوانه الذي جمع فيه أقواله الفقهية وأحاديث الرسول الكريم ، وتروي المصادر أنه وقر بغير أي - حَمْلُ جَمَل - وكان محفوظا في مكتبة بغداد ثم أخذ منها ، فأحرق أو أغرق في عهد الخليفة العباسي هارون الرشيد وقيل كذلك عنه أن العالم نفاث بن نصر النفوسي تمكن من نسخ هذا الديوان الكبير في عهد الإمام أفلح بن عبد الوهاب إلا أن نفاث قد دفن هذا الكنز الثمين وأخفاه بسبب خبث ضميره الذي لعبت به الأهواء السياسية وانشق عن طاعة

الإمام أفلح بن عبد الوهاب الرستمي ، ثم إنَّ الإمام جابر بن زيد لم يكن رجل علم وفقه بل كان كذلك رجل سياسة وحنكة حيث نظرَ الحركة الإباضية في ظل الأخلاق القرآنية ومكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ كيف حدث هذا ؟ .

جابر بن زيد والحركة الإباضية

تدل المصادر التاريخية القديمة أن جابر بن زيد يعد الزعيم الروحي والمؤسس الحقيقي للمذهب الإباضي ، يقول الشيخ أبو العباس أحمد بن سعيد الدرجيني عنه : (جابر بن زيد الأزدي رحمه الله ، بحر العلوم العجاج ، وسراج التقوى ، ناهيك به من سراج ، أصل المذهب وأسه الذي قام عليه نظامه ، ومنار الدين ومن انتصبت به أعلامه ، صاحب ابن عباس رضي الله عنه) . وعلى أية حال فإن جابر بن زيد يعد من الأوائل الذين أسسوا الحركة السياسية الإباضية سرا ، وخير دليل على ذلك ما جاء في كتاب السير للشماخي : (قال أبو سفيان بلغنا أن الرجل يرى عليه أثر الخشوع فيقال إن هذا الرجل قريب العهد بمجلس أبي سفيان ، قال أبو سفيان كان أبو سفيان قنبر ، شيخا كبيرا أخذ وجلد أربعمئة سوطٍ على أن يدل على أحد من المسلمين فلم يفعل) . قال جابر بن زيد وكنت قريبا منه ، وما كنت أنتظر إلا أن يقول هذا فعصمه الله ، وكان من خيار المسلمين وكان يجتمع المسلمون عنده فيأخذ في الذكر والدعاء إلى الخير ويحض عليه .

والجدير بالملاحظة ، أن السياسة السائدة وقتئذ حاولت أن تشكك في انتساب جابر بن زيد إلى المذهب الإباضي ، وهذا بطبيعة الحال يعود إلى العوامل السياسية الهادفة إلى تشويه وتفريغ المذهب الإباضي من أعلامه الكبار باعتبار المذهب الإباضي حركة خارجية متطرفة دون فقه ، تريد الوصول إلى الحكم لا أكثر ، بالرغم من كل هذا ، فإن أصحاب كتب المقالات القديمة قالوا : إن جابر بن زيد ينتسب إلى الإباضية لقد صنف الشهرستاني في كتابه الملل والنحل جابر بن زيد من جملة العلماء الإباضية .

ثم إن الحجر العسقلاني أخرج عن يحيى بن معين ، إمام الجرح والتعديل وعالم الإسناد ، أن جابر بن زيد كان إباضيا ، وبعد هذه الخلاصة الواضحة ، فإن هناك سؤالا موضوعيا ، يطرح نفسه على كل قارئ ناقد لماذا المذهب الإباضي لم ينسب إلى هذا العالم الجليل كبقية المذاهب الإسلامية التي تنسب إلى أئمتها رحمهم الله ، ونحن بدورنا نجيب عن هذا السؤال الموضوعي والتاريخي بما يلي : إن المصادر التاريخية القديمة ، تؤكد لنا ، أن الإباضية كانوا يسمون أنفسهم أهل الدعوة وجماعة المسلمين ، قبل ظهور عبد الله بن إباض كزعيم سياسي مجادل ومدافع عن آراء أستاذه جابر بن زيد الذي أخفى انتماءه السياسي ورؤيته في طبيعة الحكم الأموي فالظروف السياسية القهرية هي التي فرضت على جابر بن زيد التكيف معها ، حتى لا تتعرض هذه الحركة

الإسلامية الفعالة إلى الإضطهاد والمطاردة وقتلها في مهدها ، وبالتالي نسبت إلى عبد الله بن إباح باعتباره زعيما سياسيا عرف منه الجرأة والصراحة وصلابة مواقفه مع ملوك الأمويين لا سيما عبد الملك بن مروان الذي بين له بطش الأمويين وظلمهم ، ومن هنا فإن التسمية السياسية هي التي طغت ولوّنت التسمية الدينية .

ومهما كان الأمر ، فإن جابر بن زيد ، يعد المؤسس الحقيقي للمذهب الإباضي ، ولا بأس أن تستدل برأي الدكتور عوض محمد خليفات الأردني إذ قال : (إن القعدة قد اتفقوا على أن يتولى جابر بن زيد أمرهم وتنظيم دعوتهم في البصرة إيمانا منهم بذكائه واعتمادا منهم على اطلاعه الواسع وتحصيله العميق في العلوم الدينية) .

وفي ضوء هذا المنظور التاريخي ، فإن جابر بن زيد ، حاول بكل طاقته تجنب أي احتكاك معاد مع السلطة حتى لا يعرض حركته الإسلامية إلى البطش وزج أصحابه في ظلمات السجن ، تأمل أيها القارئ المسلم ما جاء في كتاب الخلافة والملك لأبي الأعلى المودودي رحمه الله (ص 123) شتم الحجاج سيدنا أنس بن مالك وسهل بن سعد الساعدي وهما من كبار الصحابة ، ويقال إن عدد من قتلوا في عهده في محبسهم فقط دون حكم قضائي مائة وعشرون ألفا ولما مات وجدت في سجونهم ثمانون ألف جثة متعفنة من جثث أبرياء سجنهم دون قضايا أو محاكمات هذا هو الظالم الذي أوصى به عبد الملك ولده حين حضرته

الوفاء فقال له : (أنظر إلى الحجاج بن يوسف فإنه هو الذي مهد لك البلاد وقهر الأعداء وخلص لكم الملك) .

وفي ضوء هذه الحقيقة التاريخية فإن جابر أراد أن يعيد للدين الإسلامي نقاوته وعدالته وأصالته وإنسانيته التي تحارب الظلم والاستبداد والعصبية العرقية ، إذ لا تفاضل بين البشر إلا بالتقوى والعمل الصالح ، إن هذه الحركة الإسلامية المباركة ، تمكنت من جذب عناصر مختلفة من قبائل وأجناس متعددة بحيث نجد فيها ، العرب والبربر والفرس والزنوج ومن أبرز هؤلاء عبد الله بن إياض وأبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة والنعمان بن مسلمة ويزيد بن يسار .

ولعل من المفيد أن نذكر هنا ، أن عدة شخصيات مرموقة كانت تعمل تحت لواء الدولة الأموية وتتقيد بأراء وتوجيهات الإمام جابر بن زيد الذي كان يمهد الأرضية لتصحيح وتغيير النظام السياسي الأموي ، والوقائع التاريخية تؤكد لنا ، أن هذه الحركة الإسلامية تميزت بالدقة الشديدة في التنظيم واليقظة الواعية ، بحيث أن السلطات لم تستطع أن تضع يدها على هذا التنظيم المحكم ، وشاءت الظروف أن تتغير وذلك بظهور الثورة التي قام بها سعيد وسليمان أولاد عباد الجلندی بعمان ضد الدولة الأموية ولم يتمكن الحجاج من القضاء عليها ، فانتقم بالأزديين العمانيين الساكنين بالعراق ، فوضع زعماءهم في السجن ، ونفى

الحجاج جابر بن زيد وبعض أصحابه إلى عمان وبعد موته رجع جابر إلى البصرة وتوفي فيها وذلك سنة 93 هـ .
وفي هذا المسار التاريخي المفعم بالأحداث يجدر بنا أن تقدم الشخصية الثانية التي بلورت الآراء السياسية للإمام جابر بن زيد ، وهي شخصية عبد الله بن إياض التي سنقدمها إلى القارئ الكريم بعد حين إن شاء الله .

الشخصية الثانية

عبد الله بن إياض

لقد استعرضنا في الصفحات السابقة ، أن المؤسس الحقيقي للمذهب الإباضي هو جابر بن زيد ، ولم يعرف أنصاره بالإباضية إلا بعد وفاة ذلك الإمام ، وشاعت تلك التسمية السائدة على لسان الدولة الأموية ، فأصبحت أمرا واقعا ، لا مفر منه .

يقول العلامة الشيخ نور الدين السالمي رحمه الله :

فما الإباضيون إلا علما

لخلفاء الحق منا فاعلما

وأصله أن فتى إياض

كان محاميا لنا وماض

إن المخالفين قد سمونا

بذلك غير أننا رضىنا

مدافعا أعداءنا بالحجة

وحاميا إخواننا بالشوكة

إن المصادر التاريخية القديمة تنسب عبد الله بن إباح إلى ما يلي :
فهو عبد الله بن إباح بن تيم اللات بن ثعلبة التميمي من بني مرة بن عبد
عبيد رهط الأحنف بن قيس . ويقال : إن قبيلته العربية بني مرة قد
انحدرت من نجد ، فاستقرت في البصرة ثم إن هذه المصادر التاريخية
قد بينت لنا أن ولادته كانت في زمان معاوية بن أبي سفيان ، أما وفاته
فقد كانت في أواخر أيام عبد الملك بن مروان الأموي ومن هنا فإن
المحققين يرون أن عمره يكون سبعين سنة .

وفي هذا المنظور التاريخي ، فإن شخصية عبد الله بن إباح قد
تركت بصمات قوية في الأحداث السياسية السائدة آنذاك ولعل من
المفيد أن نورد ما قال عنه الدرجيني : (كان عبد الله بن إباح إمام أهل
الطريق وجامع الكلمة لما وقع التفريق ، فهو العمدة في الاعتقادات ،
والمبين لطريق الاستدلالات والاعتمادات ، والمؤسس لأبنية هي
مستندات الأسلاف وكان قدوة لأهل الفضل ، فإليه النسبة اليوم في
العقائد) .

والجدير بالذكر أن عبد الله بن إباح قد تربى في أحضان مدرسة
الإمام جابر بن زيد ، حيث اعتنق مبادئها السياسية والفقهية كان رحمه
الله مثالا للجهاد والتضحية والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، إزاء

الفساد الخلقي الذي طغى في الدولة الأموية ، وخروجها عن المنهج القرآني يقول العلامة أبو الأعلى المودودي رحمه الله . في كتابه الخلافة والملك ص 121 (قامت حكومة مروان وأولاده وفيها وصل تحرر السياسة من الدين وانفلاتها منه ، بل ذبح أحكام الدين على أعتاب السياسة إلى المنتهى ، إن هؤلاء الحكام كانوا يراعون سلطتهم وبقاءها واستمرارها ويقدمون حمايتها والحفاظ عليها فوق كل شيء فلم يتورعوا في سبيل ذلك عن انتهاك أي حد من الحدود) .

حياته السياسية :

وإذا عدنا إلى حياة عبد الله بن إياض نلاحظ أنها تتميز بالحماس الدافق ، والحس المرهف وبالشجاعة والجرأة أمام الملوك الأمويين لا سيما مروان بن عبد الملك الذي قدم له رسالة نصح وإرشاد وتوجيه في ظل الأخلاق القرآنية ومكارم الأخلاق النبوية ، لقد أكد في هذه الرسالة أن الدولة الأموية انحرفت عن كتاب ربها ، وسنة رسول الله وسيرة الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم . وهناك من يرى أن عبد الله بن إياض لم تمسه السلطة الأموية بسوء نظرا إلى قبيلته القوية التي كانت له سدا قويا في حمايته ، بحيث فرضت سلطتها المعنوية والمادية آنذاك في البصرة ومن ذلك أن الأحنف بن قيس كان سيد بني تميم في البصرة يقولون إذا غضب غضب لغضبه مائة ألف سيف لا يدرون فيم غضب) .

وفي ضوء هذه الوقائع التاريخية ، فإن عبد الله بن إباح كان أكثر ظهوراً في المجال السياسي والاحتكاك بالسلطة الأموية من أية شخصية إباضية للأسباب التالية :

- (1) كان المنظر والمجادل في الحقل السياسي مع الأمويين .
- (2) لقد وقف مع عبد الله بن الزبير للدفاع عن قداسة الكعبة المشرفة ضد الجيش الأموي الذي رماها بالمنجنيق في عهد يزيد بن معاوية .
- (3) له مواقف عدائية صريحة واضحة من الخوارج ، الأزارقة ، والصفرية والنجدية وهو يرى أن شهادة التوحيد هي عاصم لدم المسلم وماله وعرضه ، لقد طلب منه الخوارج حمل السلاح ضد السلطة الأموية إلا أنه رفض دعوتهم كلياً وذات يوم كان يسمع رنين آذان الفجر للصلاة فقال قوله المشهورة (أعلى هؤلاء أخرج ؟ والله لن أخرج على هؤلاء أبداً) .

- (4) اعتمد منهجه على الدعوة والإرشاد وترسيخ العقيدة في النفوس على أساس الأخلاق ، الإيمان ، العلم ، العمل الصالح ، التقوى ، الوحدة ، التسامح بين المسلمين ، وهذا ما قامت عليه دعوة جابر التي جعلت التكوين التدريجي التربوي في طليعة منهجها السائد ، إذ فتحت باب النصح والإرشاد والحوار مع النظام الأموي السياسي آنذاك دون اعتمادها على النضال المسلح وهذا هو الفرق الجوهرى بين الحركة الإباضية وحركة الخوارج بزعامة نافع بن الأزرق وأنصاره .

(5) كان عبد الله بن إباح تلميذا مخلصا لأستاذه جابر بن زيد ، لقد اهتم بتطبيق آراء أستاذه في الحياة العامة فقهية أو سياسية ولا يخرج عن رأي الامام جابر بن زيد ، يقول الشيخ أحمد بن سعيد الشماخي في كتابه السير ما يلي : (عبد الله بن إباح المري التميمي إمام أهل التحقيق ، سلك بأصحابه محجة العدل وفارق سبيل الضلالة والجهل وكان رحمه الله على ما حفظت ممن خرج إلى مكة لمنع حرم الله من مسلم عامل يزيد الملقب بمسرف وكان كثيرا ما يبدي النصائح لعبد الملك بن مروان وفي حفظي أنه يصدر في أمره عن رأي جابر ابن زيد وله مناظرات مع الخوارج وغيرهم) .

واعتمادا على هذا النص التاريخي ، يجدر بنا أن نشير إشارة خاطفة إلى رسالته - الدعوة والنصيحة - التي بعثها إلى عبد الملك بن مروان الذي يعد المؤسس الثاني لدولة بني أمية ودام في الحكم حوالي عشرين سنة (65 هـ 86 هـ) .

وعلى أية حال ، فالأمة الإسلامية لا بد أن تلتزم بقاعدتها الشرعية الأساسية وهي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حيث تقوم على أساس كلمة الحق التي تقال أمام كل سلطة مهما كان بطشها يقول الحق تعالى : ﴿يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ (المائدة : 54) .

وفي رحاب هذه الآية الكريمة يستحسن بنا أن نلقي بعض الأضواء

على تلك الرسالة التي ألمحنا إليها سابقا ، إلا أن الكتابة التحليلية عنها ،
تجعلنا نأخذ بعض الفقرات منها فقط ، لأنها تزيد على عشر صفحات .
بعد البسملة يقول عبد الله بن إياض إلى عبد الملك بن مروان : أما
بعد : فكتبت إليّ تحذرنى من الغلو في الدين إذا جهلته فإنه ما كان
يقال على الله غير الحق ، ويعمل بغير كتابه الذي بين ، وسنة نبيه التي
سن وقال الله تعالى : ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا
عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ (النساء : 171) . كما فعل عثمان والأئمة من بعده
وأنت على طاعتهم وتجامعهم على معصية الله وتتبعهم وقد اتبعوا أهواءهم
وأتبعتهم أنت عليها وقال الله عز وجل : ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ
ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا ، وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾
(المائدة : 77) فهؤلاء أهل الغلو في الدين فليس من غضب الله حين
عصي ورضي بحكم الله ودعا إلى كتاب الله وإلى سنة نبيه وسنة المؤمنين
يُعَدُّ بِغَالٍ فِي الدِّينِ ، ثم يقول عبد الله بن إياض : إنا نبرأ إلى الله من ابن
الأزرق وصنيعه وأتباعه الخوارج ، لقد كان حين خرج على الإسلام فيما
ظهر لنا ولكنه أحدث وارتد وكفر بعد إسلامه فنبأ إلى الله منهم .
فإنك كتبت إليّ أن أكتب بجواب كتابك وأجتهد لك في النصيحة
وكان حقا عليّ أن أنصح لك لما قد علمت أن الله يقول : ﴿إِنَّ الَّذِينَ
يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي
الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ (البقرة : 159) .
أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ .

تحليل مضمون هذه الرسالة :

بادئ ذي بدء نقول : إن دراسة هذه الرسالة بكل أبعادها الدينية والسياسية ، لا تدرك إلا في إطارها التاريخي ، وذلك أن عبد الله بن إباح قد دحض رؤية عبد الملك بن مروان حول دلالة اللغو في الدين - أي التطرف الديني - والتطرف في اللغة معناه الوقوف في الطرف بعيدا عن الوسطية - أما التطرف في الدين - أي الغلو الديني يقصد به التشدد في العبادة ورفض رأي الغير ومحاربه كليا - يقول الرسول الكريم : «إياكم والغلو في الدين فإنما هلك من قبلكم بالغلو في الدين» رواه الإمام أحمد والنسائي ويقول الحق تعالى : ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ (النساء : 171) .

إن الإسلام وقف موقفا وسطا بين التشدد والتسيب لقوله تعالى : ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ (البقرة : 143) .

ولا يجوز بأي حال من الأحوال أن يفهم من هذا ، أن الالتزام بالشريعة الإسلامية وتطبيقها سلوكيا على الفرد والمجتمع هو التطرف والتدخل في حرية الآخرين وإلا تحول الإسلام إلى فكرة مجردة خالية من كل عمل صالح وهذا هو التناقض بعينه مع روح الإسلام وأن فطرة الإنسان السليم لا تؤمن إلا بالعمل الصالح الملموس . فالكريم والشجاع

والمصلح دلالات فكرية مرتبطة بنتيجة الفعل المحسوس الذي يصدر عنه
في الواقع .

وفي ضوء هذه المقدمة الضرورية ، فإن عبد الله بن إباح قد بين
خطأ وفساد وجهة عبد الملك بن مروان في مفهومه للغلو وأظهر حرصه
الشديد على روح الإسلام الذي التزم به الرسول الكريم والصحابة رضي
الله عنهم ، مبينا أن المسلم المؤمن التقي هو المطبق لأوامر الله عز وجل
قرآنا وسنة لا إفراط ولا تفريط ، كما غلا زعيم الخوارج نافع بن الأزرق
وجماعته ، ولا تفريط وتقصير في حق كتاب الله عز وجل كما فعل بنو
أمية الذين ذبحوا الشريعة على أعتاب السياسة وحب السلطة التي أفرزت
الفساد الخلقي دينيا ، اجتماعيا ، اقتصاديا ، بحيث تركوا حكم الله
وفارقوه .

يقول عبد الله بن إباح : (اتق الله يا عبد الملك ولا تخادع نفسك
في بني أمية وسيرتهم ولا بأس أن تستشهد برأي العلامة أبي الأعلى
المودودي في هذه الأحداث التاريخية من خلال كتابه الخلافة
والملك - ص 121 - (قامت حكومة مروان وأولاده وفيها وصل تحرر
السياسة من الدين وانفلاتها منه - بل ذبح أحكام الدين على أعتاب
السياسة - إلى المنتهى ومع أن عبد الملك بن مروان كان فقيها كبيرا
وكان يعتبر في المدينة قبل حظوته بالملك فقيها في عداد سعيد بن
المسيب وعروة بن الزبير) ثم قام عبد الله بن إباح بتقييم سيرة عثمان

ابن عفان رحمه الله ، وبني أمية فأوضح أن عثمان بن عفان في آخر خلافته قد بدل وغير في أساس نظام الحكم الإسلامي الذي يعتمد فيه على العدالة والشورى والإرتفاع فوق الحساسيات القبلية ، حيث اعترض الصحابة رضي الله عنهم على سياسة عثمان رض الله عنه ، لأنه بدل الولاية وأغدق الأموال على بعض أقاربه ، وفي هذا المنظور يقول العلامة أبو الأعلى المودودي في كتابه السابق ص - 63 : (عمر رضي الله عنه لم يعين خلال عشرة من الحكم سوى واحد من بني عدي - قومه في منصب صغير ثم سرعان ما عزله منه - ولهذا لم تجد العصبيات القبلية أي فرصة لترفع رأسها غير أن سيدنا عثمان رضي الله عنه حين خلفه أخذ يحيد عن هذه السياسة رويدا ، رويدا فطفق يعهد إلى أقاربه بالمناصب الكبرى ويخصهم بامتيازات كبرى اعترض الناس عليها عامة . مثال على ذلك أنه أعطى خمس مال غنيمة إفريقية 500 ألف دينار إلى مروان بن الحكم) .

وبعد ما قيم الإمام عبد الله بن إباح هذه الظواهر الإجتماعية والتاريخية المؤثرة في تاريخ أمتنا الإسلامية ، ينتقل إلى مسألة الخوارج ، مبينا موقفه الصارم والواضح إزاءها . إذ قال رحمه الله . أما زعيم الخوارج بن الأزرق وأنصاره ، فنحن نتبرأ منهم لغلوهم حينما حكموا على عصاة المسلمين وفساقهم بكفر الشرك .

وهكذا نجد زعيم الحركة الإباضية يتبرأ من الخوارج ، فكيف يعقل

للباحثين قديما وحديثا أن ينسبوا الإباضية إلى فئة الخوارج الذين أخطأوا في أحكامهم وشططوا فيها ، لما حكموا على عصاة المسلمين بالشرك الأعظم ، فاستحلوا دماءهم وأموالهم وأعراضهم ، أما الإباضية فيحكمون على هؤلاء غير التائبين بكفر النعمة فتسميهم بالعصاة الفسقة - لقوله تعالى : ﴿وَلِلّٰهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مِنْ اسْتِطَاعٍ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ (آل عمران : 97) . قال الرسول الكريم : «إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة» رواه مسلم وفي هذا المنحى الديني ، فإن الإباضية لا تخرج هؤلاء العصاة عن ملة الإسلام يقول قطب الأئمة الشيخ أطفيش رحمه الله : (التوحيد عاصم لدم الموحد وماله وسببه ومن أحل مال الموحد أو سلبه أشرك) الموحد أي المسلم العاصي .

وفي ختام هذه الرسالة ، قال عبد الله بن إباح أجتهد لك في النصيحة يا عبد الملك بن مروان لأن الدين هو النصيحة ، عليك أن تكون إمام هدى وتقوى ، تحكم بما أنزل الله ، فمن لم ينفعه كتاب الله فقد ضل ضلالا بعيدا ، فماذا بعد الحق إلا الضلال .

وهكذا يظهر لنا جليا ، أن هذه الرسالة انطلقت من معالم واضحة تمثلت في الرجوع إلى حكم الله والالتزام بمنهجه قرآنا وسنة قولاً وعملاً صالحاً .

والجدير بالذكر ، أن الإمام عبد الله بن إباح يعد أحد التابعين

الأولين ، الذي اعتمد نشاطه الحركي على الدعوة والارشاد والاصلاح التربوي ، لإقامة دولة الإسلام التي تكون امتدادا لحكومة الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم ، فهل تجسم هذا المشروع الإسلامي في الواقع أم لا ؟ وإن الإجابة نجدها في الصفحات القادمة حينما نستعرض شخصية أخرى لا تقل أهمية منه في الحركة الإسلامية وهي شخصية أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة والذي اعتمد على الحركة التعليمية والتنظيمية الهادفة إلى تأسيس دولة إسلامية ، فكيف حدث هذا ، وهذا ما سنراه معًا بحول الله في الصفحات التي سنقرأها بعد حين إن شاء الله .

تمهيد :

شخصية من الشخصيات الإسلامية المحركة في تنظيم الحركة السياسية الوهابية القائمة على المنهج القرآني الهادف إلى تأسيس الدولة الإسلامية حقا ، ومحاربة الجاهلية الراسية في نفوس أممنا الإسلامية ، بسبب ابتعادها عن شريعة ربها . هذه الشخصية التاريخية هي أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة الزنجي الفقير الذي ينتمي إلى الغالبيين العظام . لقد سكن رحمه الله . بكل عبقرية ومهارة سياسية أن ينظم الحركة الاباضية في إطارها العملي . بعد أستاذه حابر ابن زيد . يقول عنه مهدي طالب هاشم العراقي ما يلي : (بلغ التنظيم الاباضي أوجه نشاط حين تبلورت تنظيماته ، على يد أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة الداهية السياسي الذي يعضر واحد من الشخصيات الامة في مجال التنظيمات السرية ، في تلك الحقبة من تاريخ الأمة الإسلامية).

الشخصية الثالثة

الإمام أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة

تمهيد :

شخصية من الشخصيات الإسلامية المحنكة في تنظيم الحركة السياسية الواعية القائمة على المنهج القرآني الهادف إلى تأسيس الدولة الإسلامية حقا ، ومحاربة الجاهلية الراسبة في نفوس أمتنا الإسلامية ، بسبب ابتعادها عن شريعة ربها . هذه الشخصية التاريخية هي أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة الزنجي الفقير الذي ينتمي إلى الخالدين العظام ، لقد تمكن رحمه الله . بكل عبقرية ومهارة سياسية أن ينظم الحركة الإباضية في إطارها العملي ، بعد أستاذه جابر ابن زيد . يقول عنه مهدي طالب هاشم العراقي ما يلي : (بلغ التنظيم الإباضي أوجه نشاط حين تبلورت تنظيماته ، على يد أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة الداهية السياسي الذي يعتبر واحد من الشخصيات اللامعة في مجال التنظيمات السرية ، في تلك الحقبة من تاريخ الأمة الإسلامية) .

أما بالنسبة إلى الأستاذ عوض محمد خليفات الأردني فقد وصفه بما يلي : (كان أبو عبيدة عالما فذا من علماء الإباضية الأوائل وفقهائهم البارزين ، كما كان يتمتع بقدرات سياسية بارعة وأفق واسع مما ساعده على تنظيم الدعوة الإباضية في مرحلتها السرية بشكل دقيق وذكي) .

نسبه وحياته :

أما بالنسبة إلى نسب هذا الإمام فهو أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة مولى بني تميم ولد بالبصرة حوالي سنة 60 هـ ، أما وفاته فقد توفي رحمه الله في ولاية الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور حوالي سنة 150 هـ . لقد أخذ العلم عن جابر بن زيد وصحار العبدى العماني ، هؤلاء الأعلام هم أشهر علماء الإباضية في مرحلة الكتمان . في ضوء هذا ، فإن هناك بعض المؤرخين الإباضيين يرون أن أبا عبيدة قد أخذ العلم عن الصحابة رضي الله عنهم كمالك بن أنس المتوفى سنة 93 هـ وابن عباس المتوفى سنة 80 هـ ، وأما من قال بأنه قد أخذ العلم عن عائشة وأبي سعيد الخدري وأبي هريرة فهذا القول غير صحيح لأن هؤلاء قد توفوا قبل السنة الستين للعام الهجري .

أخلاقه وعلمه ودوره في تنظيم الحركة الإسلامية :

كان أبو عبيدة رحمه الله ، عالما عظيما في أخلاقه وورعه وعلمه ، آمن بما آمن به الصحابة الأوائل رضي الله عنهم ، حيث اتخذ القرآن

الكريم وسنة رسول الله منهجا لحياته في خلقه وسلوكه الحركي الصالح الداعي إلى التربية القرآنية التي هي كفيلة لتربية النفوس ومعالجتها بالقرآن العظيم يقول الشيخ الدرجيني عنه : (أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة رحمه الله ، كبير تلامذة جابر ، تعلم العلوم وعلمها ورتب الأحاديث وأحكمها ، وحافظ في خفية على الدين حتى ظهر على يد الخمسة الميامين حسب ما تقدم من ذكر دراستهم ، حملهم العلوم وكان عالما مع الزهد في الدنيا والتواضع مع نيل الدرجات العليا ، والإعتراف بضيق الباع على ما عليه من الإتساع) .

يرى المؤرخون القدماء والمحدثون ، أنَّ الإمام أبا عبيدة تمكن بكل ذكاء ومهارة فائقة من تنظيم الحركة الإباضية سياسيا بعد أستاذه جابر بن زيد ، معتمدا في ذلك على العمل الحركي الإسلامي الملتزم بالأخلاق القرآنية لتطبيق شريعة الله لتحل محل شريعة البشر وأهوائهم . وفي ضوء هذا ، فإن الإمام أبا عبيدة قد تمكن فعلا من إنشاء مدرسة سريّة في البصرة بعيدة عن مركز السلطة الأموية بدمشق والسلطة عباسية ببغداد ، لأن الظروف السياسية التي كانت تحيط به كانت صعبة جدا ، بحيث لجأ إلى التستر والتمويه وتظاهره بأنه صانع القفاف هو وطلابه في مدرسته .

يقول أبو زكرياء يحيى بن أبي بكر في كتابه السير وأخبار الأئمة : (وكان الشيخ أبو عبيدة رضي الله عنه ، مستخفيا متخوفا من بعض أمراء

البصرة ، فأدخلهم سربا ، وجعل فيه سلسلة ، فصار القفاف بباب السرب ، فمتى رأى شخصا مقبلا حرك السلسلة فيسكتون ، فإذا انصرف فيأخذون في دراستهم) .

ومن هنا فإن الإمام أبا عبيدة قد اتخذ كل حذر وحيطة مخافة من أن يصل أمره ونشاط الحركة إلى السلطة الحاكمة لأن الدعوة الإباضية السياسية لا تزال تمر بمرحلة الكتمان والتستر ، فاعتمد على الأماكن البعيدة حتى لا تكشف السلطة الأموية أمره ودعوته الساعية إلى تغيير الحكم .

ولا بأس أن نشير إلى تخطيطه المحكم في تأصيل حركته وبنائها على أسس قوية ثابتة . إن هذا التخطيط المحكم تمثل في مجالس قسمت إلى ثلاثة أصناف :
أ - مجالس عامة : يحضرها أنصار الدعوة الإباضية ، تكون تحت شيخ من شيوخها ، الذي يلقي مبادئ الدعوة الإسلامية ، لهؤلاء وعادة تعقد هذه المجالس في بيت أحد المشايخ الذي يأخذ كل حذره من عيون السلطة .

ب - مجالس الشيوخ تضم صفوة علماء الدعوة الإباضية ، الذين يجتمعون في سرية تامة ، يتدارسون الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، فيتخذون خطط العمل وتنفيذها إزاء الأحداث الجديدة .

ج - مجالس حملة العلم ، تضم بعض الشيوخ وطلبة العلم الذين وفدوا إلى البصرة من أوطان بعيدة وجنسيات مختلفة عربا و فرسا ، وبربرا وزنوجا ، جمعتهم عقيدة الإسلام التي هي فوق الجنس والنسب والقبيلة ، يشرف على هذا المجلس العلمي أبو عبيدة مسلم نفسه ، حيث يعلمهم أصول العقيدة الإسلامية وبعدها الديني والاجتماعي والسياسي وعلاقتها بالعمل الحركي الإسلامي وكانت تعقد هذه الحلقات الدراسية في سرداب سري بناحية البصرة ، لا يعرف مكانه إلا خيار صفوة الدعوة الإباضية وحملة العلم .

إن هذه الخطة المحكمة الذكية ، المتميزة بالتستر والهدوء والتكيف مع الأوضاع السياسية ، تمكنت من نشر نورها القرآني في عمق العالم الإسلامي مشرقه ومغربيه خاصة في جنوب الجزيرة العربية - عمان واليمن وشمال إفريقيا - ليبيا والمغرب العربي وفي هذا المنظور السياسي ، لابد أن نشير إلى دعاة مدرسة أبي عبيدة في العالم الإسلامي .

أبو عبيدة وطلابه :

تقول المصادر الإباضية القديمة : إن أول داعية إلى المذهب الإباضي في شمال إفريقيا هو سلمة بن سعد أحد طلاب المتحمسين لحركة أبي عبيدة والذي استقر به المقام في القيروان يقول المؤرخ أبو

زكرياء يحيى بن أبي بكر : قال : سمعت سلمة بن سعد يقول : وددت أن يظهر هذا الأمر ، يعني مذهب الإباضية بالمغرب يوما واحدا من غدوة إلى الليل فما أبالي ضربة عنقي .

إن هذا الطالب الذكي الملتزم بربانية المنهج الإسلامي الصحيح ، تحدى كل الصعاب لأنه كان مؤمنا أشد الإيمان بأن عالمية المنهج الإسلامي يجب أن تسود مادام الحق واحدا وهو القرآن الكريم القائل : ﴿ قل إن هدى الله هو الهدى وأمرنا لنسلم لرب العالمين ﴾ (الأنعام : 71) .

وفعلا فقد تمكن سلمة بن سعد أن يرسل إلى أستاذة أربعة طلبة وذلك سنة 135 هـ ، وهؤلاء ، لهم دراية بطبيعة مجتمعهم ، اللغوية ، والنفسية ، والاجتماعية ، والجغرافية ، فإذا أعادوا إليه ، لا يجيدون أي صعوبة في نشر مبادئ إمامهم أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة رحمة الله .

وهكذا فإن هؤلاء هم : أبو درار اسماعيل بن درار الغدامسي من غدامس جنوب طرابلس وعبد الرحمن بن رستم من القيروان ، وعاصم السدراتي من سدراتة غرب أوراس ، وأبو داود القبلي النفزاوي من جنوب تونس وقد انضم إليهم في البصرة أبو الخطاب عبد الأعلى المعافري من اليمن وهو عربي لقد سمي هؤلاء الطلبة عند الإباضية بحملة العلم إلى المغرب ، وللإشارة هنا فإن هناك بعثة من جبل نفوسة

قد ذهبت إلى البصرة قبل بعثة حملة العلم وعلى رأسها أبو عبد الله محمد ابن مغيطر الجنواني ، إلا أن دعاة الإباضية في اليمن وحضرموت كانوا من الأوائل بالنسبة إلى دعاة الإباضية الأفارقة ومن أشهرهم وائل بن أيوب الحضرمي وعبد الله بن يحيى الكندي المشهور بطالب الحق ، أما في عمان فنجد من بين تلاميذ جابر بن زيد وأبي عبيدة مسلم : الربيع ابن حبيب ، أبو عمرو الفراهيدي والإمام بشير بن المنذر النزواني ومخير ابن النير الجعلاني وموسى بن أبي جابر الأزكوي ، ومحجوب بن الرحيل والجلندي بن مسعود ، وأبا حمزة المختار الشاري ، ومحمد بن المعلي الكندي .

هكذا يظهر لنا جليا ، عبر التاريخ الإسلامي ، أن البذرة المباركة التي غرسها الإمام أبو عبيدة في النشء الإسلامي الذي رباه تربية قرآنية خالصة استطاعت أن تعطي ثمارها الطيبة في العالم الإسلامي ، مشرقه ومغربيه . وذلك بظهور دولة يحيى عبد الله طالب الحق في الحجاز واليمن التي استمر حكمها من سنة 129 هـ إلى سنة 132 هـ ، والدولة الرستمية التي حكمت من سنة 160 هـ إلى سنة 296 هـ . فبسطت نفوذها من الحدود المغربية إلى الحدود المصرية لا سيما في عهد ازدهارها وكذلك الدولة العمانية التي استقلت عن السلطة العباسية بزعامة الإمام الشهيد الجلندي بن مسعود وذلك سنة 132 هـ . إن الدولة العمانية لها الفضل الكبير في نشر الدين الإسلامي في شرق إفريقيا .

إن هذه الصورة الواضحة التي قدمت إليك أيها المسلم الكريم عن الإمام أبي عبيدة مسلم الذي شهد له بالكفاءة والقيادة في تنظيم الحركة الإباضية وثوراتها في العالم الإسلامي .

وفي هذا المنظور التاريخي يجدر بنا أن نقدم رؤية الأستاذ العراقي مهدي طالب هاشم الذي قيم هذه الحركة إذ قال : (وبهذا يتبين لنا أن الدعوة الإباضية في هذه الحقبة اتبعت أسلوبا سياسيا ظاهره المهادنة وباطنه الإستعداد ، ونستطيع أن نلمس هذه المواقف في موقف السلطة الأموية والعباسية من أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة ، المرجع الأعلى للإباضية ، إبان ثورة اليمن ، وعمان ، وثوراتهم بالمغرب ، إذ بقيت هذه السلطات تجهل أن أبا عبيدة مسلم رأس الثورات ومصدرها ، ولو عرفت ذلك لعرضته للموت بدون أدنى شك ، ولو أن هذه السلطة تعرف اتجاهه المذهبي والعقائدي ولكنها لم تتوصل إلى دليل يثبت صلته بالحركات الثورية مما يدل على قوة التنظيم السري ودقته وكتمانه) .

وهكذا فإن الطريق الذي سلكه أبو عبيدة وأنصاره لم يكن مفروشا بالورود بل كان طريقا مليئا بالأشواك والعقبات والتحديات ، بحيث سجن ، فعذب حينما اكتشف نشاطه السياسي يقول الدرجيني عنه : (وقال بلغنا عن ضمام حين سجنه الحجاج هو وأبو عبيدة قال أدخلنا في سجن قال فلم يكن يوصل إلينا ، ولا يدخل علينا حديدة ولا جلم ، وإنما كنا نقص شواربنا بأسناننا ، وإن كان الرجل منا لينفض لحيته فيتساقط منها القمل) .

ومن خلال هذا النص تدرك أيها المسلم الكريم ، أن طريق العمل الحركي الإسلامي محفوفٌ بالمحن والمصائب التي تمتحن فيها عقيدة المسلم الذي يؤمن بأن الطريق شاق وطويل ، فلا بد من بذل الجهد الكلي ماديا ومعنويا ، ليتحقق المجتمع الإسلامي الحقيقي البعيد عن مظاهر الجاهلية القديمة والمعاصرة ، ونحن نعتقد أن سيرة الإمام أبي عبيدة هي درس وسلوك عملي صالح للذي يريد أن يعيد لأمتنا الإسلامية هويتها الجوهرية وانتماءها الحضاري الإسلامي .

وفي هذا المسار التاريخي ، يجدر بنا أن تقدم إليك أيها المسلم الصالح شخصية أخرى وهي الربيع بن حبيب الذي يعد من رواد مدرسة الإمام أبي عبيدة حيث ترك أثرا فعالا في الحركة الإباضية من خلال آثاره الفكرية وهذا ما ستراه بعد حين إن شاء الله .

ما نزل إليهم﴾ (النحل : 44) ﴿ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده ندخله نارا خالدا فيها﴾ (النساء : 14) .

والجدير بالذكر ، أن هناك من شكك في شخصية الإمام الربيع بن حبيب ، بدعوى أن رجال الحديث قديما وحديثا لم يذكروه مع الثقات أو الوضاعين ، كبقية الآخرين إن جوهر الإجابة توجد في مقدمة هذا البحث فالعلة تكمن في عامل السياسة ، والشيء المؤسف حقا ، أن نقد هؤلاء يفتقر إلى الروح العلمية والإلتزام بها ، ولو أخذنا مثلا ما أورده فضيلة الدكتور خليل إبراهيم مولى خاطر حول مسند الربيع بن حبيب الذي ارتاب في وجوده ومن هذه الفرية قوله : (إنَّ السند منقطع بين أبي عبيدة وجابر بن زيد ، ف وفاة جابر بن زيد سنة اثنين وتسعين ، فأين التقيا ؟ ولذا لا يوجد في الكتاب كله ما يصرح فيه أبو عبيدة بالتحديث والسماع ، ثم وجدت الربيع نفسه يروي عن أناس ولدوا بعده) .

إن إجابتي حول هذه الفرية وغيرها ، تكمن أساسا في عدم الرجوع إلى المصادر الإباضية القديمة وعلى أية حال فإني أحيل فضيلة الشيخ مولى خاطر إلى هذه التواريخ التالية : الإمام جابر بن زيد (و 22 هـ - ت 93 هـ) أبو عبيدة مسلم (و 60 هـ - ت 150 هـ) الربيع بن حبيب (و 75 هـ - ت 175 هـ) .

وفي هذا المسار الفكري نقول : (إن هذه الكتابة لا تسمح لنا أن نرد على الشبهات التي قيلت في كتاب الجامع الصحيح مسند الإمام الربيع

ابن حبيب ولكن الإجابة الموضوعية توجد في كتب الإباضية القديمة فضلا عما كتبه فضيلة الشيخ محمد الشيخ بلحاج في كتابه القرآن تفسيره ومفسروه ، السنة روايتها وروايتها عند الإباضية ، وكذلك ما كتبه فضيلة الدكتور الليبي عمرو مسعود أبو القاسم الكباوي - الربيع بن حبيب محدثا .

ومن هنا كان القول بأن مسند الإمام الربيع بن حبيب لم يؤلف في القرن الأول والثاني من العام الهجري ، فرية لا تقوم على دليل منطقي وتاريخي . ولعل من المفيد أن نعرف الآن بصاحب السند .

الربيع بن حبيب نسبه وحياته :

هو الربيع بن عمرو الأزدي الفراهيدي البصري لقد ولد بإحدى قرى السهل الساحلي - بودام من الباطنة في عمان وذلك سنة 75 هـ على الأرجح . أما وفاته فكانت 175 هـ بعمان .

فقد نشأ بين عمان والبصرة ، فعمان هي موطن عشيرته وأجداده وآبائه وصباه ، حيث أخذ المبادئ العربية والفقه في بلده ، ومما لا جدال فيه أنه كان يتردد على مجالس العلم والذكر في المساجد التي تعقد حلقات الوعظ والتعليم وطرح بعض المشاكل الفقهية والسياسية ، لا سيما مشكلة الخلافة التي أوجدت المذاهب الفقهية والسياسية ، ومن هنا فإن اسم العلامة جابر بن زيد لم يكن غريبا عن وطنه الأصلي

عمان ، إذ ترك أثرا فعالا بأخلاقه وعلمه وطلابه فوالد الربيع بن حبيب كان أحد تلاميذته ، ومن المحتمل جدا ، أن أباه هو الذي أرسله إلى البصرة التي كانت حينئذ قبلة الطلاب والعلماء وأنصار المدارس السياسية والفقهية كالخوارج والشيعة والإباضية والمعتزلة خاصة في الفترة الزمانية الممتدة ما بين سنة 40 هـ إلى سنة 190 هـ . وفي ضوء هذا يمكننا أن نبين الشيوخ الذين أخذ عنهم الحديث الشريف والفقه .

شيوخه :

لقد تتلمذ الربيع بن حبيب على يد عدد كبير من الأساتذة إلا أننا نشير إلى بعض الأعلام الكبار الذين جاءوا في مسنده ، وأول أساتذته هو جابر بن زيد الذي يعد من الرواد الأوائل الذي دون السنة الشريفة ، ومن هنا فإن الإباضية تعد من المدارس الأولى التي قامت بتدوين الحديث الشريف ، إلا أن الربيع بن حبيب قد أدرك الإمام جابر وهو شاب بحيث لم تسجل له روايات كثيرة عنه قيل إنه روى عنه حديثا واحدا في مسنده ، إلا أن أغلبية الأحاديث قد رويت عنه بواسطة أبي عبيدة وضمام بن السائب وأبي نوح صالح الدهان وغيرهم . لقد جاء في كتاب الدرجيني عن شيوخ الربيع ما يلي : (وكان الربيع إذا سئل عن مسألة فقليل ، يا أبا عمرو ممن سمعت هذه المسألة ؟

فيقول : إنما حفظت الفقه عن ثلاثة ، عن أبي عبيدة وأبي نوح وضمام .

أما بالنسبة إلى حياة أبي عبيدة فقد رأيناها سابقا ، ولا حاجة لنا لإعادتها ، وأما العالم أبو نوح فهو صالح بن نوح الدهان من البصرة أخذ العلم عن جابر بن زيد وطبقته ، وكان عالما كبيرا لقد شارك أبا عبيدة في التدريس وهو ينتمي إلى الطبقة الثالثة 100 هـ - 150 هـ ، كشيخه ضمام بن السائب الذي ولد بالبصرة وهو عماني ، أخذ العلم عن جابر بن زيد وساعد أبا عبيدة في التدريس والفتاوى . وفي هذا المنحى الفكري يحسن بنا أن نشير إشارة خاطفة إلى مسنده .

مسند الإمام الربيع بن حبيب وقيمته العلمية والتاريخية :
السند في اصطلاح علماء الحديث هو ما اتصل سنده أي رجاله الراوون من أوله إلى منتهاه مرفوعا إلى النبي ﷺ كما قال الربيع بن حبيب حدثني أبو عبيدة عن جابر بن زيد عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال : «أطلبوا العلم ولو بالصين» ، أما مرتب مسند الربيع بن حبيب فهو العلامة الشيخ أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم الوارجلاني 500 هـ - 570 هـ الذي رتبته على حسب الأبواب : كتاب العلم ، وكتاب الطهارة ، وكتاب الصلاة ... إلخ . وعليه يطلق في هذه الحالة الجامع الصحيح .

يقول الشيخ العلامة السالمي رحمه الله : (أعلم أن مرتب الكتاب وهو أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم الوارجلاني قد ضم إلى المسند آثارا احتج بها الربيع على مخالفه في مسائل الإعتقاد وغيرها وهي أحاديث صحاح يعترف الخصم بصحتها وجعلها المرتب في الجزء الثالث من الكتاب ثم أنه ضم إلى ذلك روايات محبوب بن الرحيل عن الربيع وروايات الإمام أفلح بن عبد الوهاب عن أبي غانم بشر بن غانم الخرساني ومراسيل جابر بن زيد وجعل الجميع في الجزء الرابع) وقد شرح هذا الجامع أبو عبد الله محمد بن عمر بن أبي سنة اشتهر بالمحشى المتوفى في القرن الحادي عشر من العام الهجري كما شرحه كذلك العلامة عبد الله السالمي في أربعة أجزاء .

ولعل من المفيد أن نشير إلى هذه السلسلة الذهبية التي قال عنها عز الدين التنوخي ما يلي : (ورجال هذه السلسلة الربيعية من أوثق الرجال وأحفظهم وأصدقهم لم يشب أحاديثها شائبة إنكار ولا إرسال ولا انقطاع وأعضال لأن الثلاثيات بأجمعها موصولة باتصال أساندها ولم يسقط من أساندها الثلاثية أحد . هذا هو مسند الإمام الربيع بن حبيب المتميز بالصدق والضبط والأمانة - وهو يشمل على 1005 حديثا ومن حق القارئ المسلم أن يسأل هل الربيع له مساهمة أخرى في المجال التربوي والإجتماعي والسياسي أم لا ، إن إجابتنا سنوضحها في هذه السطور القليلة .

طلابه ومكانته العلمية :

لقد تمكن الربيع بن حبيب من تكوين جيل إسلامي رباه في ظل الأخلاق القرآنية ولم تمض سنوات قليلة حتى تمكن هؤلاء من نشر الأخلاق القرآنية والوعي الإسلامي في أوطانهم ، عمان وحضرموت وخرسان أما بالنسبة إلى العمانيين فنجد منهم ، أبا المنذر النزواني ومحبوب بن الرحيل وابن أبي جابر الأزكوي ، ومن حضرموت أبو أيوب وائل وقد تولى رئاسة علماء الإباضية بالعراق بعد رحيل الربيع إلى عمان ومن خراسان هاشم عبد الله الخرساني .

والجدير بالملاحظة أن أبا غانم بشر بن غانم الخرساني ، قد درس بالبصرة فأخذ العلوم والفتاوي عن تلاميذ أبي عبيدة مسلم ، لا سيما الربيع بن حبيب وعن هؤلاء دَوَّنَ كتبه وأهمها المدونة التي تحتوي أغلبها على فتاوي الربيع - فهذه المدونة قد نسخت في أواخر القرن الثاني الهجري في جبل نفوسة نسخها عمرو بن فتح .

مكانته العلمية :

إن عدم اهتمام رجال الحديث بحياة الربيع يعود أساسا إلى انتمائه إلى المذهب الإباضي باعتبارهم خوارج وهم أهل بدع كما يرى ذلك خصومهم وعلى أية حال فإن الرد الخاسم الواضح قد شرحناه في مقدمة هذا البحث ، إلا أن هناك من علماء أمتنا الإسلامية غير الإباضيين ، قد

وثقه فمن علماء السلف يحيى بن معين إمام الجرح والتعديل المتوفى سنة 233 هـ بالمدينة حيث قال في كتابه التاريخ ص 160 (الربيع بن حبيب أيضاً بصري يروي عن الحسن وابن سيرين وهو ثقة) ولقد رأينا كذلك رؤية الشيخ عز الدين التنوخي الذي وثقه أما العلماء الإباضيون القدماء والمتحدثون فقد أشادوا بورعه وأخلاقه وعلمه وعدالته .

يقول الشيخ الدرجيني 670 هـ عنه : (ومنهم الربيع بن حبيب رحمه الله طود المذهب الأشم ، وعلم العلوم الذي إليه الملجأ في معظمت الخطب الأصم ، صلب أبا عبدة فاغترف من بحره الزاخر ، ولزم مجلسه فكان الأول والآخر ، روى عنه المسند المشهور فإن سمعت بأصحابه فنحن - والحمد لله أصحابه .

أما الشيخ السالمي من العلماء المحدثين فيصفه بما يلي : (وتلامذة أبي عبدة لا يحصون عدداً ، وأجلهم قدرا الربيع بن حبيب البصري ، وإليه انتهت رئاسة العلم بعد أبي هريرة) .

مكانته الاجتماعية والسياسية :

إن الربيع بن حبيب يحتل مكانة مرموقة في نفوس الإباضية بمنزلة الإمام الكف ، وكانوا يستشيرونه في المسائل السياسية ، ودلينا على ذلك أنه لما وقع إختلاف بين الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن الرستمي الذي بوبع بالإمامة سنة 160 هـ . وزعيم النكارية ابن فندين

القائل بأن الإمام لا يحق له أن يصدر أمرا إلا بموافقة رأي الجماعة .
وعلى أية حال ، فإن الفريقين جعلوا الربيع حاكما بينهما . فقد جاء
في رسالته ما يلي : (أما بعد فقد بلغنا يا إخواننا ما كان قبلكم وفهمنا
ما كاتبتُمونا به أمّا ما كتبتم به من أمر الشرط في الإمامة أن لا يقضي
أمرا دون جماعة ولو صح في الإمامة شرط لما أقيم لله حق ولا حد
ولعطلت الحدود) ، هذه هي شخصية الربيع بن حبيب التي وضعناها في
إطارها العام ، آمليْن أيها المسلم الكريم أن نهج نفس المنهج مع إمام
آخر وهو الجلندي بن مسعود إن شاء الله .

الشخصية الخامسة

الإمام الجلندي بن مسعود

مقدمة :

اعلم أيها المسلم الكريم أن هناك قطرا عربيا إسلاميا عظيما ، وهو عمان ، إن رجال هذا الوطن الكبير قد قاموا بدور كبير في نشر الإسلام منذ عهد الرسول العظيم إلى عهدنا القريب ، وهكذا نجد الإمام الكبير العماني سلطان بن سيف العربي 1059 هـ - 1091 هـ تمكن من نشر الإسلام في إفريقيا الشرقية كاد أن يصل إلى جنوب إفريقيا ، محاربا الأطماع الإستعمارية التوسعية .

وليس عجيبا إذا وجدنا الإمام الجلندي بن مسعود الأزدي العماني يعد الأب الحقيقي لهذه الروح الثائرة وأحد أبطال ثورة طالب الحق - يحيى عبد الله - الذي ثار على الدولة الأموية لما انحرف أغلبية ملوكها عن سيرة الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم . وهكذا فإن طالب الحق

وأنصاره الذين تخرجوا من مدرسة أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة رحمه الله ، كان هدفهم الأول والأخير هو إزالة الفساد الخلقي السائد في الدولة الأموية ، ثم العودة بالأمة الإسلامية إلى منهج القرآن الكريم قولاً حسناً ، وعملاً صالحاً ، هذه الحقيقة جعلت معالمها واضحة كل الوضوح في الحركة الإسلامية الثورية التي قامت سنة 129 هـ بحضرموت وامتد نورها إلى اليمن ومكة المكرمة والمدينة المنورة التي دخلها أبو حمزة المختار الشاري منتصراً وذلك سنة 130 هـ .

قال الإمام مالك بن أنس رحمه الله (93 هـ - 179 هـ) خطبنا أبو حمزة المختار الشاري خطبة حيرت المستبصر وردت المرتاب : قال : (أوصيكم بتقوى الله وطاعته ، والعمل بكتابه وسنة نبيه ﷺ ، فالطاعة لله ، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ، ندعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه والقسم بالسوية ، والعدل في الرعية ، الناس منا ونحن منهم إلا مشركاً عابداً وثناً ، أو كافراً من أهل الكتاب ، أو إماماً جائراً) .

والجدير بالذكر ، أن ثورة طالب الحق قد دكت أركان الدولة الأموية ، إلا أن الخليفة الأموي مروان بن محمد تمكن من القضاء على هذه الثورة بقيادة عبد الملك بن محمد بن عطية الأموي الذي التقى بجيش طالب الحق مع الجيش الأموي بأرض جرش قرب الطائف (مكة) فقتل فيها طالب الحق وكثير من الإباضية بحضرموت ، وهنا لجأ الإباضية إلى حرب العصابات بقيادة عبد الله بن سعيد الحضرمي ، الذي

تمكن من قتل القائد الأموي عبد الملك بن عطية إلا أن القائد الأموي شبيب البراقبي قد طارد الإباضية في حضرموت ، فقبض على عبد الله بن سعيد الحضرمي فقتله وذلك سنة 132 هـ . وبوفاة هذا الشهيد اختفت الإمامة الإباضية ظهورا ودفاعا في الحجاز ، إلا أن هذه النكسة لم تقعد أنصار طالب الحق ، بل جعلتهم يقصدون عمان ويوحدون جهودهم من جديد لتكوين المجتمع الإسلامي الذي يسير على المنهج القرآني وسنة الرسول الكريم بقيادة الإمام الجلندي بن مسعود .

الجلندي بن مسعود نسبه وإمامته :

إن الجلندي بن مسعود ، يعد أحد التلاميذ النجباء الذين تخرجوا من مدرسة أبي عبيدة مسلم بن أبي عبيدة ، فقد بايع طالب الحق في اليمن لما ثار على الظلم الأموي ، فالمصادر التاريخية القديمة والحديثة كلها تذكر لنا أنه أول إمام بويع بعمان .

فإن هذه المصادر تنسبه إلى ما يلي : الجلندي بن مسعود : وهو أحمد بن الجلندي بن المستكبر بن مسعود بن الحرار بن عبد عز بن معولة ابن شمس ملوك عمان .

إن الخاصية الأساسية لتاريخ الأمة العمانية أنها دخلت في الإسلام بدون قتال ، إذ أن النبي ﷺ بعث كتابا مع عمرو بن العاص إلى عبيد وجيفر أبناء الجلندي اللذين كانا ملكين على عمان وبعد حوار بينهم لم

يدم طويلا ، فهم عبيد وجيفر رسالة الإسلام العظيمة ، فأسلما ودخلا بكل طوعية وإخلاص وحب ، هما والأمة العمانية في دين الله الجديد .
تخبرنا المصادر التاريخية أن سيرة الجلندى بن مسعود قد تركت أثرا طيبا في نفوس أنصار ثورة طالب الحق في الحجاز وعمان ، وحينما أدرك العمانيون كفاءة وقدرة وصلاحية الجلندى للإمامة ، طلب منه أن يتحمل هذا الأمر العظيم والعبء الكبير ، لتستقيم حياتهم الدنيوية والدينية ، فقبل طلبهم وبويع بالإمامة وذلك سنة 132 هـ . لقد حضر هذه البيعة عدة علماء من بينهم هلال بن عطية وبشير بن المنذر النزواني .

يقول العلامة الشيخ السالمي رحمه الله : (عقدوا الإمامة للجلندي بن مسعود فكانت سببا لظهور الإسلام وقوة شوكته ، وكان عادلا مرضيا ، وكان الجلندى ممن حضريعة عبد الله بن يحيى طالب الحق في اليمن .
ومن هنا فإن الجلندى كان صاحب رسالة ، انقذ عمان من الفوضى التي ضربت أطناها في ربوع وطنه ، أنصف المظلم فأخذ كل ذي حق حقه ، وكان رحمه الله . عالما عادلا بأحكام الشريعة ، مجاهدا في سبيل الحق ، متحديا السلطة العباسية التي أرادت أن تعود عمان إلى سلطتها وسيادتها . المطلقة ، فالدولة العباسية حسبت ألف حساب لظهور الدولة الإسلامية العمانية القائمة على الخلافة الحقّة التي تناقض السلطة العباسية التي جعلت حكمها يقوم على الملك العضوض الذي

يتنافى مع عدالة الإسلام وطبيعة الخلافة الإسلامية ، ثم إن عمان تحتل موقعا استراتيجيا : جغرافيا ، وأمنيا واقتصاديا ، لأنها بوابة اقتصاد الشرق وأمنه إلى يومنا هذا .

ومن هنا ، فإن الدولة العباسية فكرت تفكيكا مصيريا في هذا الأمر ، إذ أن انتصار هذه الدولة معناه رجوع حكم الخلافة الرشيدة ومحاربة مظاهر الحيف التي ظهرت في المجتمع العباسي كالفساد الخلقي والاقتصادي والاجتماعي .

جهاده وفاته وأخلاقه :

وفي ضوء هذه الحقائق التاريخية التي ذكرناها ، فإن العباسيين وجهوا حملة عسكرية كبيرة بقيادة خازم بن خزيمة لمحاربة إمارة الجلندی بن مسعود ، ولا بأس أن نشير إلى أن الجلندی قد حارب الخوارج الصفرية وقتل زعيمهم شيان بجفار أي - برأس الخيمة الآن - وهكذا فإن الإمام الجلندی طلب من الصفرية الدخول في إمامته إلا أن هؤلاء رفضوا دعوته السلمية وفضلوا الحرب ووجد الجلندی نفسه مرغما على محاربتهم ، وفي هذه الظروف وصل إلى عمان خازم بن خزيمة وقال للجلندی : إنا كنا نطلب هؤلاء يعني شيان وأصحابه ، وقد كفانا الله قتالهم وشرهم على يديكم ، ولكن أريد أن أخرج من عندكم إلى الخليفة أي - العباس السفاح - وأخبره خبرا أنك له سامع

ومطيع ، فشاور الجلندى أصحابه فرفضوا هذا الطلب ف وقعت معركة بين الجيش العباسي تحت قيادة خازم بن خزيمة وجيش الجلندى فقاتل فاستشهد رحمه الله وذلك سنة 133 هـ ، وقد دامت إمامته سنتين وشهرا .

وعلى أية حال ، فإن الإمامة التي تحملها الإمام الجلندى قامت على العدالة الإسلامية الحققة والنظام الدفاعي المتجسم في الشراة الذين تطوعوا لخدمة دولته الإسلامية الفتيّة . ومن هنا فإنه قسم المتطوعين الشراة إلى مجموعات وكل مجموعة تتكون من مائتين 200 إلى أربعمئة 400 متطوع ، ثم عين لكل مجموعة قائدا لها ، وهذا القائد يشترط فيه أن يكون عالما فقيها ، حازما . وكل عشرة من هؤلاء لهم معلم يعلمهم أمور دينهم ويغرس فيهم الأخلاق القرآنية الكريمة ، الإيمان ، الصبر ، الشجاعة والوفاء .

ثم إن الجلندى بن مسعود قد قسم المناطق العمانية إداريا وعين الولاة والقضاة وقواد عسكريين على حسب تلك المناطق ، ودعى أمته أن تشمر عن ساعديها ، وأن تلتزم بأدب الإسلام . وخلاصة القول أن الإمام الجلندى يريد من أمته أن تعيش في ظل الأخلاق القرآنية ، حيث جسد هذه الفكرة الحيوية . في سلوكه ، وسقاها بدمائه الزكية الطاهرة العابقة لما سقط شهيدا سنة 133 هـ وهكذا فإن تاريخ أمتنا الإسلامية لا يمكن أن يكون بدون هذا الإمام الشهيد الذي سقط في المشرق الإسلامي وهناك شخصية أخرى في المغرب الإسلامي لها وزنها الفعال في الأحداث التاريخية المتجلية في الإمام عبد الرحمن بن رستم الذي سنبرز حياته وأخلاقه وجهاده في الصفحات القادمة إن شاء الله .

الشخصية السادسة

الإمام عبد الرحمن بن رستم

مقدمة :

لكل أمة لها أمجادها ، وعظماؤها الذين جسدوا ثقافتها وحضارتها في أعمالهم الجليلة التي تروى للأجيال الناشئة من خلال تاريخها الرابط بين ماضيها وحاضرها ومستقبلها .

أيها المسلم الكريم ، جدير بنا أن نقدم إليك صورة حية عن أحد عظماء التاريخ الإسلامي وهو الإمام عبد الرحمن بن رستم الذي ترك بصمات في تاريخ الدولة الرستمية التي تعد أول دولة إسلامية جزائرية مستقلة عن الدولة العباسية ولعل من المفيد أن نورد فقرة ذهبية من الميثاق الوطني الجزائري (كانت الدولة الرستمية أول دولة في العهد الإسلامي بالجزائر ، سجلت قيام حكم وطني ، منفصل إداريا عن الحكم المركزي الإسلامي ، وما لبثت العاصمة تيهرت أن عرفت ازدهارا

اقتصاديا ، كما أن التسامح الذي كانت تتجهه الدولة الرسمية في تعاملها مع المذاهب الأخرى كان سببا في جذب الكفاءات والخبرات لهذه الدولة .

لمحة عن الإمام عبد الرحمن بن رستم ودولته :

أيها المسلم الصالح . أعتقد أنك تتساءل كيف نشأت الدولة الرسمية ومن أنشأها وما هو المذهب الذي اعتنقته .

وفي ضوء هذا نقول : إن الدولة الرسمية هي نسبة إلى مؤسسها عبد الرحمن بن رستم بن كسرى الملك الفارسي وكان جده بهرام من موالى عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وهذا الجد قد تربى تربية عربية إسلامية بالحجاز أما أبوه رستم فقد نشأ بالعراق ، وشاءت الأقدار أن يحج الوالد مع زوجته فتوفي الأب في موسم الحج تاركا عبد الرحمن يتيما وأرملة ، فالمصادر الإباضية القديمة كلها تشير إلى أن أم عبد الرحمن لما توفي زوجها رستم تزوجت حاجا من القيروان ، حيث ترعرع هذا الابن الكريم في بيئة مغربية إسلامية خالصة ، واتصل بالداعية الإباضي سلمة ابن سعد الذي أرسله إلى مدرسة الإمام الكبير أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة الذي تمكن من تنظيم الحركة الإباضية تنظيما دقيقا تهدف إلى إعادة المسلمين إلى عقيدتهم الصحيحة بدون زيغ وأهواء .

وفي هذا المسار التاريخي لا بد أن نذكر أن هناك طلبة آخرين من

المغرب الإسلامي قد انضموا إلى مدرسة أبي عبيدة وهم : أبو درار الغدامسي نسبة إلى غدامس الليبية ، وداود القبلي نسبة إلى مدينة أقبلي جنوب تونس ، وعاصم السدراتي نسبة إلى مدينة سدراتة الموجودة في عمق الأوراس بالجزائر .

وهكذا نجد أن هذه البذرة المباركة التي غرسها أبو عبيدة مسلم استطاعت أن تعطي ثمارها الطيبة في حضرموت وعمان والمغرب الإسلامي ، وذلك بظهور دول إسلامية في ليبيا وذلك سنة 140 هـ بإشارة من أستاذه أبي مسلم بن أبي كريمة إلا أن أبا جعفر المنصور العباسي تمكن من القضاء على هذه الإمامة سنة 144 هـ . بقيادة محمد ابن الأشعث والجدير بالذكر أن عبد الرحمن بن رستم الذي كان واليا على القيروان سار بجيشه لمساعدة أبي الخطاب عبد الأعلى ، ولما بلغه وفاة أبي الخطاب وانهزامه في طرابلس لم ييأس فذهب إلى قابس والقيروان ثم بعدها إلى المغرب الأوسط وكان محمد بن الأشعث يلاحقه بجيشه ، وتمكن من النزول على قبيلة لماية ، فوجد كل مناصرة وتأييد من هذه القبيلة فاستطاع أن يؤسس هو ومناصروه ، أول دولة إسلامية جزائرية مستقلة وذلك سنة 160 هـ واتخذوا تيهرت عاصمة لها .

أيها المسلم الكريم قد تدرك أن ظهور الدولة الرستمية التي أسسها عبد الرحمن بن رستم جاءت كرد فعل للأوضاع الإجتماعية الفاسدة السائدة في الدولة الأموية والعباسية لأن أغلبية حكامها قد ابتعدوا عن

عدالة الإسلام الحققة وظهور الجور واستغلال أبناء الأمة الإسلامية الواحدة من طرف ولاية الدولة الحاكمة أموية أو عباسية .

سيرة الإمام عبد الرحمن بن رستم :

إن الإباضية المشاركة حينما علموا بظهور الدولة الرستمية في المغرب الإسلامي ، فرحوا واستبشروا خيرا عظيما ، فقدّموا لهذه الدولة الفتية أموالا سخية لتقف قوية ثابتة أمام عواصف الزمان وتقلباته يقول ابن الصغير المالكي أحد مؤرخي الدولة الرستمية التي عاصرها : (لما ولي عبد الرحمن بن رستم أمور الناس شمر مئزره وأحسن سيرته وجلس في مسجده للأرملة والضعيف ولا يخاف في الله لومة لائم ، فطار ذلك في أطراف الأرض ومشارقتها ومغاربها حتى اتصل ذلك من إخوانهم من أهل البصرة - أي إباضيتها وغيرها من البلدان فلما علموا ذلك من أمره جمعوا أموالا عظيمة وبعثوا بها مع نفر من ثقاتهم وقال بعضهم لبعض لقد ظهر بالمغرب إمام ملاء عدلا وسوف يملك المشرق عدلا ، فانهضوا إليه بما معكم من هذه الأموال حتى تردوا المدينة التي سكنها ، فإن كان على ما نقل لنا من حسن طريقه وصحة سيرته فادفعوا إليه ، وإن كان على غير ذلك ، فانظروا إلى أفعاله وما يتولاه من الأحكام بين رعيته ثم اتوها بذلك كله) .

وبالفعل فإن إخوانه المسلمين الذين جاءوا من البصرة لزيارته

وجدوه حاكما عادلا بسيطا في مسكنه ولباسه ومأكله ، إن هذه الحالة التي كان يعيشها عبد الرحمن بن رستم ، جعلت هذا الوفد الزائر يؤمن إمانا راسخا أن سلوك هذا الإمام هو سلوك الرجل المؤمن التقوي الورع الزاهد .

ومن هنا تدرك أيها المسلم الكريم أن الأموال التي جلبت من البصرة قد وزعت توزيعا عادلا على الفقراء والمساكين وعلى بعض مصالح الدولة . وفي هذا المسار التاريخي ، فإن عبد الرحمن بن رستم المتوفى سنة 171 هـ قد ترك دولته قوية قائمة على الكتاب ، والسنة والعدل .

يقول ابن الصغير : (فلم تزل أموره كذلك وعلى ذلك والكلمة واحدة ، والدعوة مجتمعة ، ولا خارج يخرج عليه ولا طاعن يطعن عليه إلى أن اختارته المنية) .

وهكذا فإن الدولة الرستمية استمرت في حكمها 136 سنة من سنة 160 هـ إلى سنة 296 هـ وفي عهدها ازدهرت العلوم الشرعية والعلوم النقلية والأدبية حتى سميت تبهرت بعراق المغرب وهذا الأمر طبيعي ما دام الدولة تركت حرية المذاهب الإسلامية تثري رأيها كالمالكية والحنفية والمعتزلة والشيعة ، وأحسن من عبر عن هذه الحقيقة التاريخية ابن الصغير إذ قال : (ومن أتى حَلَقَ الإباضية من غيرهم قربوه وناظروه ألطف مناظرة وكذلك من أتى من الإباضية إلى حَلَقِ غيرهم كان سبيله كذلك) .

وهكذا استمرت الدولة الرستمية في ترسيخ الحضارة الإسلامية في شمال افريقيا إلى غربها جنوبا واستخلف أمرها سبعة أئمة وهم :

(1) الإمام عبد الرحمن بن رستم ، (2) الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن ابن رستم ، (3) الإمام أفلح بن عبد الوهاب ، (4) الإمام أبو بكر بن أفلح ، (5) الإمام أبو اليقظان محمد بن أفلح ، (6) الإمام أبو حاتم يوسف ابن أبي اليقظان ، (7) الإمام اليقظان بن أبي اليقظان .

والجدير بالملاحظة أن الدولة الرستمية قبل سقوطها 296 هـ بزعامة أبي عبد الله الحجاني الشيعي ، ظهر فيها صراع عنيف حول السلطة بين أفراد العائلة الرستمية مع مظاهر الفساد الإجتماعي وضعف السلطة ، هذه هي العوامل الجوهرية التي عجلت بسقوط الدولة الرستمية ، وبعد ذلك نزحت بعض أسر إباضية إلى وارجلان وسدراتة وأريغ وأخيرا انتشر المذهب الإباضي في وادي ميزاب بفضل العلامة الشيخ أبي عبد الله محمد بن بكر الفرسطائي المتوفى سنة 440 هـ .

لابد من تصحيح المفاهيم :

وفي هذا المنظور التاريخي ، لابد أن نشير هنا ، إلى الأخطاء التاريخية التي وقع فيها أغلبية المؤرخين وعامة الناس الذين يعتقدون أن الميزابيين الإباضيين الساكنين في وادي ميزاب تعود أصولهم القديمة إلى الفرس باعتبار أن مؤسس الدولة الرستمية أصله فارسي ، فهذا التصور

الخاطئ لا يقوم على دليل علمي ولو سلمنا بتلك الفكرة لوجدنا اللغة الفارسية هي السائدة في ميزاب فضلا عن انتشارها في الدولة الرستمية ، فالميزابيون قد سكنوا منذ أقدم العصور بوادي ميزاب ، وهم ينتمون إلى قبيلة بني مصعب البربرية الزناتية ، فبنو ميزاب كانوا على مذهب المعتزلة ثم تحولوا إلى المذهب الإباضي في القرن الخامس الهجري ، وفي هذا المجال يمكننا أن تقدم هذا النص التاريخي كدليل شاهد يقول أبو زكرياء يحيى بن أبي بكر المتوفى سنة 471 هـ في كتابه كتاب سير الأئمة وأخبارهم (وكان الشيخ أي أبو عبد الله محمد بن بكر يشتي في أريغ ويربع في البراري عند بني مصعب . أي ميزاب وغيرهم وكانوا إذ ذاك واصلية - أي معتزلة - فرد بعضهم إلى الوهبة - أي الإباضية) والدليل الآخر هو وجود مقابر قديمة للمعتزلة قرب العطف وبنورة ومليكة .

ومن خلال هذه الأدلة ، يجب أن نصح النظرة التاريخية التي وقع فيها كثير من المؤرخين الذين يعتقدون أن الميزابيين الإباضيين جميعهم قد هاجروا من تيهرت إلى وارجلان وأخيرا استقروا بميزاب ، والأغرب من كل هذا أن هناك من يعتقد جازما بأن الميزابيين قد جاءوا من عمان والحجاز والعراق بعد وقعة صفين سنة 36 هـ بين علي كرم الله وجهه ومعاوية بن أبي سفيان ، وكل هذا يتناقض مع المنطق التاريخي والجغرافي والديني ولغتهم الأمازيغية ومن البديهي جدا ، أن الميزابيين كانوا بعيدين كل البعد عن تلك الفتنة الكبرى .

إن الحقيقة التاريخية الثابتة تبين لنا ، أن هناك بعض أسر إباضية قد هاجرت إلى وادي ميزاب في فترات زمنية متفاوتة من شمال الجزائر وتيهرت والأوراس وسدراته ووادي سوف وأريغ والجريد ونفوسة وغرب الجزائر ، فهذه الأسر قد اندمجت مع الميزابيين الأصلاء وأثرت فيهم فانتقلوا من حياتهم البسيطة إلى حياة متحضرة وذلك ببناء القرى وحفر الآبار وغرس النخيل والتحكم في مياه وادي ميزاب واستغلاله زراعيا ، ولعل هذه النظرة الموضوعية في تاريخ ميزاب تجعلنا أكثر معرفة تاريخية بطبيعة أهله .

وعلى ضوء هذا التحليل الذي سلطنا عليه الضوء على الشخصيات التي لعبت دورا حيويا في تاريخ الإباضية القديم ، يحسن بنا الآن أن تنتقل إلى تاريخ الإباضية الحديث وندرسه من خلال بعض أعلامه ، وفي هذا الأمر ، نجد أسفاً شديداً في نفوسنا حينما اعتمدنا على الإيجاز في تقديم صور عن هؤلاء . دون غيرهم .

الشخصية السابعة

الإمام عبد الله بن حميد السالمي

مقدمة :

أيها المسلم الكريم ، جدير بنا أن نبرز لك ، إحدى الشخصيات الإسلامية العظيمة التي تركت أثرا فعالا طيبا في صفحات تاريخ أمتنا الإسلامية الكريمة ، إن هذه الشخصية هي العلامة الجليل عبد الله بن حميد السالمي الذي درس سلوك أمتنا الإسلامية ، دراسة مركزة تحليلية ، شاملة ... تمكن هذا العالم الجليل من كشف خطر الإزدواجية ، بين القول والعمل وأثره السلبي على مصير أمتنا الإسلامية . فأعطى الدواء الشافي وهو الربط المحكم بين القول الطيب والعمل الصالح وهذا هو الإيمان الأصيل النافع الذي تبني عليه عقيدة المسلم ومصيره وجدارته ، إن هذه القيمة الدينية الجوهرية التي عالجها الشيخ السالمي ندرك أثرها الفعال في دعوته الإصلاحية ، ومن هنا يمكننا أن نقدم لمحة عن حياته .

الشيخ السالمي نسبه ومولده وتعلمه :

نسبه : وهو العلامة المحقق الشيخ نور الدين عبد الله بن حميد بن سلوم بن عبيد بن خلفان بن خميس السالمي أما والده فهو الشيخ حميد رحمه الله وكان ذا فضل وعلم وتقوى ، فقد ولد شيخنا عبد الله بن حميد ببلدة الحوقين من ولاية الرستاق العمانية سنة 1286 هـ ، في هذه البلدة الطيبة العمانية تخلق بالأخلاق القرآنية وتعلم فنون اللغة العربية والعقيدة ، فحفظ القرآن الكريم وبعض الأحاديث وكان أستاذه الأول والده الشيخ حميد رحمه الله ولما بلغ الإبن الثانية عشرة من عمره كف بصره إلا أن الله عز وجل قد وهب له بصيرة مفعمة بالإيمان الراسخ ، والعلم الصالح ، وذكاء حادا وحافظة قوية ، مع فهم عميق وإدراك للقضايا الدينية والفكرية .

هذه المواهب القوية ، جعلته يقصد مدينة الرستاق العلمية التي التقى فيها بالعلامة راشد بن سيف للمكي ، فنهل من مناهله العلمية ، ولم يمض وقت قصير حتى أصبح الشيخ السالمي عالما فذا ، له قدم راسخ في العلوم الشرعية والعقلية .

أيها القاريء الكريم : إن شيخنا السالمي ، لم يكتف بهذا العلم الغزير ، بل كانت نفسه راغبة في المزيد من العلوم ، ومن هنا . قصد مدينة الشرقية سنة 1308 هـ فاتصل بالشيخ صالح بن علي بن ناصر عيسى الحارثي ، يقول الشيخ السالمي واصفا أستاذه (لقد كان رضي الله

عنه أعلم زمانه في الحلال والحرام وأشدّهم حرصاً على قوام الإسلام وأكثرهم خصالاً في صفات الكرام) ، وقد لازم أستاذه في مراحل العملية وكفاحه ضد الجهل وإنارة العقول إلى أن توفاه الله سنة 1314 هـ بمدينة القابل ، ثم لازم بعد ذلك ابنه عيسى بن صالح الحارثي فقدم له يد المساعدة والمشورة الحكيمة في سير شؤون الأمة العمانية ، وأظهر في ذلك قدرة عالية وحنكة بالغة في تحقيق وحدة الأمة العمانية وذلك بإحياء الإمامة في عمان على يد الإمام سالم بن راشد الخروصي في سنة 1331 هـ وسئل الشيخ السالمي عن هذه الإمامة فقال : إن حكمها حكم إمامة الخليفين ، واني لم أعقدها على القوم شرار .

وبعد هذا ، فإننا سنحدثك أيها القارئ الكريم عن آثاره الفكرية وأخلاقه لتكتمل عناصر شخصيته أمامنا .

آثار الشيخ السالمي الفكرية :

إن الشيخ السالمي رحمه الله هو العالم الموسوعي في المعرفة العلمية العميقة المتنوعة ، هذه الحقيقة تظهر جلية في آثاره المتميزة بغزارة المادة وعمقها الفكري ولا أدل على ذلك من مصنفاته التي تزيد على عشرين عنواناً بين كتاب كبير وصغير ، وعلى ضوء هذا يمكننا القول بكل يقين : إن الشيخ السالمي يمثل بكل جدارة دائرة المعارف الدينية

والتاريخية وبعض العلوم العقلية والآن يحسن بنا أن نشير إلى بعض هذه الكتب .

- 1 - شرح طلعة الشمس على الألفية في علم أصول الفقه
- 2 - بهجة الأنوار شرح أنوار العقول في التوحيد
- 3 - تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان إن هذا الكتاب يقع في جزئين وهو يعالج تاريخ عمان قديما وحديثا ولولا هذا الكتاب لضاع تاريخ عمان الحديث ، بل يعد هذا الكتاب العمدة الأساسية في دراسة وتحليل أهم الأطوار التي مرت بها الأمة العمانية ، يقول عنه الدكتور عوض محمد خليفات الذي كتب عن نشأة الحركة الإباضية (ويعتبر نور الدين السالمي أشهر مؤرخي عمان في العصر الحديث ويعد كتابه تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان أشهر هذه الكتب وأنفعها للباحثين) .
- 4 - جوهر النظام في علمي الأديان والأحكام يقع هذا الكتاب في أربعة أجزاء ، يعالج فيه فقه المعاملات والأحكام ، وفيه جانب من الأخلاق والآداب العامة .
- 5 - شرح الجامع الصحيح مسند الإمام الربيع بن حبيب الفراهدي وهو يقع في ثلاثة أجزاء .
- 6 - مشارق أنوار العقول ، يقع في جزئين كبيرين ، بين فيه علم أصول الدين ورؤية المذهب الإباضي في مسائله .
- 7 - وله كذلك ديوان شعر في غاية البلاغة والفصاحة ، شعره يمتاز

بالعاطفة الدينية متأثراً بالقرآن الكريم ، أسلوباً ومعنى وأخلاقاً لقد أرثى
رحمه الله والده وبعض أصدقائه قائلاً :

صبرا على مضض المصارع فالدهر للأعمار قاطع
هون فإن العمر في الإ نسان من بعض الودائع
فاصبر ، وإن مضت الأفا ضل في التراب وفي البلاع
فقد غرس رحمه الله هذه الأخلاق القرآنية في طلابه الذين تتلمذوا
عليه ، فهم كثيرون ، إذ أن الذين حملوا لواء النهضة العمانية الحديثة قد
تخرجوا من مدرسته .

تلاميذه :

إن الذين كتبوا عن الشيخ السالمي رحمه الله ، قد أكدوا أن مدرسته
تميزت بالطابع الإسلامي الأصيل القائم أساساً على القرآن الكريم
والسنة الشريفة ، فقد كان فكره بعيداً عن مظاهر الجمود الفكري
والنظرة المذهبية الضيقة ، ولا أدل على ذلك من أخذ ببعض الآراء
المجتهدين في فتاويه من غير الإباضية معتمداً على النقل والعقل ، لأن
هدف الشيخ السالمي هو تكوين الروح النقدية والعلمية عند طلابه .
وهكذا فإن هناك مجموعة كبيرة من الأعلام العظام قد تخرجت من
مدرسته العامرة يقول الشيخ أبو إسحاق إبراهيم أطفيش رحمه الله :
(تلاميذه كثيرون لا نبالغ إذا قلنا إن رجال اليوم بعمان جلهم من

تلاميذه ولقد نبغ كثيرون وفي مقدمتهم العلامة أبو عبد الله محمد بن عبد الله ابن سعيد بن خلفان الخليلي الخروصي ، وحسبك أن صفوة الأمة هناك والذين قامت عليهم الإمامة والملك هم تلاميذه ، وهذه الروح التي نفخها فيهم حتى كانوا حمى للدين وللأمة من أكبر الشواهد على إخلاصه وعلو شأنه ومكانته) .
ولابأس أن نشير إلى بعض هؤلاء الرجال العظام .

1 - الإمام العادل ، سالم بن راشد الخروصي
2 - العلامة الجليل ، رئيس القضاة أبو مالك عامر بن خميس بن مسعود وله تأليف ضخمة .

3 - العلامة الأمير عيسى بن صالح الحارثي وعلى هذا يمكننا القول بأن التربية الإسلامية الصالحة التي أثرت في رجال نهضة عمان والتي نهجها الشيخ السالمي كانت كلها سلوك عملي خير ، فرض أثره الطيب على طلابه وهو يرى ويؤمن بأن لا قيمة للقول مالم يجد سنده في الحياة العامة التي يعيشها الإنسان يقول رحمه الله (والعلماء إن فسدوا أشرم من غيرهم وفعلهم أضر) وكان رحمه الله له علاقات ومراسلات فكرية مع العلماء لاسيما إباضية المغرب ونخص بالذكر قطب الأئمة الشيخ أطفيش الذي يذكر آراءه وأقواله حينما يطرح المسائل الفقهية والاجتهادية .

أخلاقه ودعوته إلى الوحدة الإسلامية :

إن الشيخ السالمي رحمه الله كان من دعاة الوحدة الإسلامية ، ما دام القرآن الكريم منهجنا ودستورنا ، والإسلام ديننا ، ومحمد رسولنا وقائدنا

الأعظم ، إن الاختلاف الحاصل اليوم بين أبناء الأمة الإسلامية يعود أساسه الجوهري أولا وأخيرا إلى الأهداف السياسية التي ألبت بقناع الدين ، فظهر أسرها السلبي في سلوك المسلمين عامة .

لقد بعث إليه سليمان بن عبد الله الباروني الليبي رحمه الله (1287 هـ - 1359 هـ) رسالة أن يضع الحلول الجذرية لوحدة الأمة الإسلامية مبينا طبيعة المرض وقدم الدواء البلسمي .

يقول شيخنا السالمي رحمه الله (إن منشأ التشتت هو اختلاف المذاهب وتشعب الآراء وهو السبب الأعظم في افتراق في الله والساعي في الجمع مصلح لا محالة ، وأقرب الطرق له أن يدعو الناس إلى ترك الألقاب المذهبية ويحثهم على التسمي بالإسلام ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾ (ال عمران : 19) فإذا استجاب إلى هذه الخصلة العظيمة ذهبت عنهم العصبية المذهبية - فيبقى المرء يلتمس الحق لنفسه ، ويكون الحق أولا عند آحاد من الرجال ثم ننظر شيئا فشيئا فيصير الناس إخوانا .

وكثيرا ما يتأوه قائل - ذهب الوفاء - ذهب الدين - ذهبت المروءة ، طمع فينا الخصم طلبنا بالمكائد ، نصب لنا الجبائل - وكان رحمه الله يقول :

حرب النصارى اليوم بالدواهي
والكل منا غافل ولاهي

فيأخذون الدار بالخدائع

وانها أقوى من المدافع

وهكذا استغل الخصم حالة المسلمين المزرية تصدعا ، وصراعا بسبب اختلافاتهم وأدى بهم الأمر إلى تكفير بعضهم البعض ، وهذا هو الخروج عن المنهج القرآني وأخلاقه .

ومن هنا ندرك أن الدعوة المذهبية العفنة لا قيمة لها دون عمل إسلامي صالح ، وبدون هذه الفضيلة الأخلاقية تكون أمتنا عرضة للزلازل والسقوط في مسيرتها المصيرية في كل يوم .

ومهما كان الأمر ، فإن شيخنا السالمي ، لم تكن آراؤه صورية بعيدة عن الواقع الذي يعيشه المسلم في المشرق أو المغرب ، بل إن رؤيته النقدية كانت انعكاسا لروح أمتنا الإسلامية وقضاياها ، بعد هذا الجهاد المرير انتقل إلى جوار ربه في اليوم الثامن عشر من شهر صفر سنة 1332 هـ ، ودفن ببلدة تنوف تحت سفح الجبل الأخطر ، فارتاع العالم الإسلامي بوفاته ولكن آثاره لا تزال خالدة كل الخلود في ذاكرة المسلمين وفي هذا المسار الفكري يحسن بنا أن تقدم إلى النشء الإسلامي شخصية أخرى وهي العلامة محمد بن يوسف أطفيش الذي لا يقل درجة عن أخيه الشيخ السالمي رحمهما الله وأسكنهما في جنات الخلد آمين .

الشخصية الثامنة

قطب الأئمة - محمد بن يوسف أطفيش

الشيخ أطفيش نسبه وميلاده وحياته :

هو العلامة الشيخ الحاج محمد بن يوسف بن عيسى يتصل نسبه إلى سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه - أما كنيته المشهورة فهي القطب - وهو سيد القوم والنجم الذي لا يبرح مكانه مطلقا ، يقول الشيخ أبو اليقظان الذي يعد أحد تلاميذ القطب ما يلي : (منهم الشيخ الحاج أحمد ابن يوسف الشهير بقطب الأئمة عند المغاربة ، وبقطب المغرب عند المشاركة وهو جدير بحق هذا اللقب العظيم ، فإن علماء المشرق والمغرب كالكواكب تدور على هذا القطب في فلكه الواسع) .

أما ولادته فكانت في غرداية - جنوب الجزائر وذلك سنة 1236 هـ الموافق لسنة 1820 م ، أما والده الشيخ الحاج يوسف رحمه الله فيعد من الشخصيات البارزة في وادي ميزاب لقد توفي هذا الأب الكريم والإبن لم يتعد خمس سنوات .

وأما والده الشيخ أطفيش فهي ماما ستي بنت الحاج سعيد بن عدون من عائلة آل يدر وتعتبر هذه الأم الكريمة من الأمهات القليلات اللائي بذلن مجهودات مضية في سبيل نشر العلم الصحيح في ميزاب آنذاك وحينما بلغ الابن الخامسة من عمره أدخلته تلك الأم الكريمة في كتاب المسجد لحفظ القرآن الكريم ، فسطع نجمه أمام أترابه ، فلم تمر ثلاث سنوات حتى حفظ القرآن الكريم بكامله ، فاستظهره على أمام المسجد وهو لم يبلغ تسع سنوات من عمره .

أما بالنسبة إلى أساتذته فهم الشيخ عمر بن سليمان والشيخ الحاج سليمان بن يحيى وأخوه الشيخ إبراهيم بن يوسف الذي ترك أثرا قويا في أخيه ، ويمكننا أن نستدل على ذلك بما كتبه الشيخ أبو اليقظان رحمه الله . اذ قال : (لما رجع أخوه الشيخ الحاج إبراهيم من المشرق العربي من عمان ومصر وهو مملوء بأوسع المدارك ، أخذ حظه منه في سائر العلم ، ثم تفرغ للتدريس والتأليف وصرف قوة شبابه فيهما إلى آخر عمره) .

وفي ضوء هذا فإن أخاه الكريم قد منح له كل كتبه التي جاء بها من المشرق العربي ، فدرسها دراسة علمية ، وكان القطب رحمه الله عصاميا في العلوم بدون أستاذ ، فتمكن فيها كل التمكن وفقه مسائلها ، وأسرارها ، ولا أدل على ذلك من نبوغه في العلوم العربية ، فنظم كتاب المغني لابن هشام في خمسة آلاف بيت وعمره لا يزيد على ست عشرة سنة ، يقول رحمه الله .

مغني اللبيب جنه — أبوابها ثمانية
ألا تراها وهي لا تسمع لاغية
والأغرب من هذا ، فإن شيخنا نشأ في بيئة لسانها أمازيغي
مزابي ، ولكنها دافعت عن اللغة العربية الفصحى التي هي لغة الإسلام
والقرآن ولولا الإسلام لاندثرت تلك اللغة القرآنية ، هذه هي
الحقيقة البديهية التي تفرض نفسها على كل إنسان سليم الفكر والقلب
والإيمان .

وهكذا فإن شيخنا القطب لما بلغ عشرين سنة من عمره أصبح يشار
إليه بالبنان في علمه ، وأخلاقه وإخلاصه . وأمسى من علماء الكبار في
وادي ميزاب والجزائر والعالم الإسلامي ومن هنا فتح دارا للتدريس
والتأليف فأفرغ كل جهده في إصلاح سلوك المجتمع لمحاربة الآفات
الإجتماعية دون كلل في كل لحظة ، مادام هدفه الأول هو خدمة
الإسلام قولاً وعملاً فالإسلام في نظره هو منهج للحياة البشرية لأنه
يلبي طبيعتها الفطرية يقول الله عز وجل ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا
فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ
الْقَائِمُ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (الروم : 30) ، أخي المسلم ،
بعد هذا نشير إلى مؤلفاته وطلابه الذين عاشوا في رحاب مدرسته
القرآنية .

القطب : آثاره الفكرية وتلاميذته :

أيها المسلم الكريم : إني على يقين من أنك قد أدركت بعض جوانب شخصية العلامة الشيخ أطفيش إلا أن هذا الإدراك يبقى ناقصا ما دام لم نشر إلى كتبه التي ألفها ما بين كتاب صغير يحتوي على أربعين صفحة وكتاب يزيد على سبعمائة صفحة يقول الشيخ أبو اليقظان في تراث القطب ما يلي (وقد عد بعضهم مؤلفاته فوجودها تتجاوز ثلاثمائة مؤلف مابين صغير وكبير) .

ولا بأس أن نذكر الفنون التي كتب فيها - وإليكم هذا التراث الحضاري الكبير :

الفقه - أصول الفقه والدين - التفسير - العقيدة - التجويد - علم الحديث - النحو - البلاغة - الأخلاق - السيرة - التاريخ - الحساب - علم الميراث - اللغة - الفلسفة - علم الفلك - رسائل مختلفة في موضوعات دينية واجتماعية وسياسية .

إن شهرة القطب ، تقوم في المقام الأول على أنه فقيه مجتهد ، وهذا الإجتهد قد أظهره حينما شرح متن النيل للعلامة عبد العزيز الشميني ، وأن كتاب شرح النيل وشفاء العليل يعد موسوعة فقهية إسلامية ، فالقطب رحمه الله قد عالج فيه كل المسائل الفقهية التي تقوم على أساس القرآن الكريم والسنة الشريفة وآراء المذاهب الإسلامية جُلها ، فالقطب هنا لا يأخذ الآراء الفقهية إلا بعد نقدها حتى يحكم لها أو

عليها ، ولو كان هذا الرأي من مذهبه الإباضي ، يقول الأستاذ بكوش يحيى الذي يعد أحد رجال الفقه والقضاء في حق قطب الأئمة ما يلي : (إن القطب بحكم مطالعته الكثيرة إذا وجد بعد ذلك في المسألة ذاتها رأيا لإمام أو شاهد يؤيد موقفه في كتاب فإنه لا يتردد في توجيه الحمد لله تعالى على توفيقه ولو كان مخالفه في المذهب) .

وفي هذا المنظور نقول : إن شرح كتاب النيل يوازي الأمهات الفقهية الكبرى وقام بإثراء الفقه الإسلامي وهو في جوهره موسوعة فقهية كبرى تقف جنبا إلى جنب مع الموسوعات الفقهية الإسلامية الأخرى ، فالقطب رحمه الله لما زار الحجاز لأداء فريضة الحج سنة 1303 ها - 1886 م التقى في المدينة المنورة بالمفتي الشافعي الذي قدمه لإلقاء الدروس بالحرم اعترافا لمكانته العلمية . ومن المفيد في رحاب هذا النشاط الفكري أن نشير إلى الطلبة الذين تخرجوا على يديه فحملوا مشعل النهضة الحديثة في العالم الإسلامي .

القطب وتلاميذه :

ومن بين هؤلاء :

- 1 - الشيخ بابكر بن الحاج مسعود الذي تولي مشيخة غرداية ، لقد أسس مدرسة علمية عصرية .
- 2 - الشيخ حمو باحمد بابا وموسى تقلد مشيخة غرداية يوم 12 محرم

- 1332 هـ بعد وفاة شيخه القطب أطلق عليه اسم مفتي وادي ميزاب
ومن مؤلفاته - الحجج الدامغة لبدع الفئة الزائغة - ترغيب الراهب
وترهيب الراغب - سيرة العزابة توفي رحمه الله سنة 1957 م .
- 3 - صالح بن عمر ، يعد من العلماء البارزين الذين أثروا في النهضة
العلمية بعد وفاة القطب من خلال كتبه لا سيما كتابه - البراهين
القاسفة لتمويهات متبعي الفلاسفة - ورسالة كشف اللثام .
- 4 - صالح بن يحيى الحاج سليمان شارك في النشاط العلمي والسياسي
بتونس ، يعتبر من الأوائل الذين أسسوا حزب الدستوري التونسي .
- 5 - أبو إسحاق إبراهيم بن محمد أطفيش لقد شارك في الحركة الوطنية
في الجزائر وتونس مع أخيه الشيخ عبد العزيز الثعالبي فحقق كتباً جلية
في التراث الإباضي والمذاهب الإسلامية الأخرى .
- 6 - الشيخ سليمان باشا الباروني الليبي يعد أحد الزعماء الليبيين الذي
أذاق الإستعمار الإيطالي هزائم مدة ثماني سنوات ، فاتجه إلى عمان
وأصبح الوزير الأعظم في إمارة عمان ، توفي في بمباي بالهند سنة
1940 م .
- 7 - إبراهيم بن عيسى داود أبو اليقظان ، يعد عميدا وأباً للصحافة
الجزائرية ، فقد أصدر ثماني جرائد عربية إسلامية قارعت الإستعمار
الفرنسي وهي - وادي ميزاب - ميزاب - المغرب - النور - البستان -
النبراس - الأمة - الفرقان .

8 - سعيد بن علي تعريب الجربي صاحب كتاب المسلك المحمود في معرفة الردود ، يعد من ألمع طلاب القطب ، فكان يساعد أستاذه في التدريس والإرشاد وترك نهضة علمية في تونس .

القطب وجهاده الإجتماعي :

بعد هذه اللوحة الخاطفة جدا ، عن تلاميذ القطب رحمه الله ، يمكننا الآن أيها المسلم الكريم ، أن ننقل إلى واجهة أخرى وهي جهاده الإجتماعي القائم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، إن القطب رحمه الله قد نهج ، نهج الصالحين العاملين في الدعوة الإسلامية ، إلا أن الوصول إلى هذا الطريق الإصلاحى ليس بالأمر الهين ، نظرا إلى معارضة الذين حاربوه وضايقوه في جهاده الإصلاحى ليلا ونهارا ، لأن دائرة السوء تسعى بكل قواها أن تحطمه وتعقم نهضته الإصلاحية في مهدها ، كما بين ذلك في رسالة بعثها إلى إخوانه العمانيين قائلا : (فسلام على الشيخ العالم عبد الله بن حميد والشيخ الفهامة عيسى بن صالح الحارثي من كتابه أحمد بن الحاج يوسف اعذراني في تأخير الجواب بعض التأخر وما ذلك إلا لأهوال عظام علي من النصارى وآل بلدي) لأن المجتمع البشرى لا ولن يخلو من الصراع بين الحق والباطل ، وبين الرذيلة والفضيلة وبين الجديد والقديم .

وفي هذا المسار التاريخي فإن القطب رحمه الله قد نفى إلى مدينة

بنورة ومكث فيها حوالي عشرة سنوات ، دعا إلى الإصلاح الإجتماعي والديني وبعد هذه المدة الزمانية عاد إلى بلده بني يزقن شيخا عظيما اعترف به خصمه بمنهجه الإصلاحية لبناء أمته ، ثم خلف الشيخ الحاج محمد بن يحيى باحيو في المشيخة ببني يزقن وذلك سنة 1296 هـ . وهكذا فإن القطب رحمه الله رفض مظاهر الجمود الفكري والتعصب المذهبي الذي غداه الإستعمار ، فالإستعمار في نظره ما هو إلا مظهر من مظاهر الأمة المشركة الكافرة برسالة الإسلام ولا بد من محاربته كما تدعو إلى ذلك الشريعة ، بحيث أن الجنرال الفرنسي دولاتور قد سجنه في نوفمبر 1882 م عند وصوله إلى ميزاب بأمر من الوالي العام الجزائري لأنه يمثل الجبهة الإسلامية الصلبة المعارضة لفرنسا ، فلقطب رحمه الله لم يجد الطريق أمامه مفروشا بالأزهار بل وجده مفروشا بالأشواك ، وبعد هذا الجهاد المستميت انتقل إلى رحمة الله في يوم السبت 23 ربيع الثاني 1332 هـ إلا أن شجرة الإصلاح هذه ، لم تمت بل وجدت الشيخ بيوض يسقيها وهذا ما سنراه بعد حين ، إن شاء الله .

الشخصية التاسعة

الإمام إبراهيم بن عمر بيوض

إبراهيم بيوض : مولوده ، نشأته ، تعلمه :

أيها المسلم الكريم : في هذه الصفحات القليلة ، نريد أن نحدثك حديثا مقتضبا عن أحد أعلام أمتنا الإسلامية وهو العلامة الشيخ بيوض رحمه الله الذي يعد أحد أقطاب الحركة الإصلاحية في وادي ميزاب والجزائر والعالم الإسلامي ، نظرا إلى تاريخه الطويل الحافل بالجهاد المستميت في سبيل بعث العمل الإسلامي والرد على الثقافة الغربية التي تريد أن تنصر الشخصية الإسلامية في قوايلها ، فالحياة عند المؤمن الصادق هي جهاد بالنفس والمال ليتحقق العمل الصالح النافع في المجتمع الإنساني ، إذن فلا بد لكل مسلم أن يكون صالحا في سلوكه حتى يقتدي به الغير يقول الله عز وجل ﴿ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين﴾ (فصلت : 33) .

في بداية القرن العشرين المتميز بإرهاصات النهضة العربية الإسلامية مشرقا ومغربا ولد إبراهيم بيوض في اليوم الثاني عشر من ذي الحجة لسنة 1316 هـ الموافق لـ 22 أفريل 1899 م بمدينة القارة ولاية غرداية جنوب الجزائر .

أما أبوه فهو عمر بن بابا بن إبراهيم بن حمو . فأما والدته فهي عائشة بنت كاسي بن بهون ، إن والده عمر بن بابا رحمه الله . كان كثير السفر بين شمال الجزائر وجنوبها ، أمتن التجارة في مسقط رأسه القارة ، بحيث عرفت عنه أخلاق رفيعة كالصدق والأمانة والإصلاح . وهكذا فإن والد إبراهيم رحمه الله كان من دعاة الإصلاح لمعالجة الآفات الاجتماعية السائدة آنذاك كالجهل والفساد الخلقي والأمية ، والتعصب ، إلا أن هذه المسيرة الإصلاحية بقيت محدودة نظرا إلى عدم وجود رائد محنك في قيادة الأمة حينئذ إلا أن قدرة الله تعالى شاءت أن يكون ابنه إبراهيم حاملا لواء الإصلاح والعمل في جنوب الجزائر انطلاقا من مدينة القارة ، ويجدر بنا الآن أن تنتقل إلى حياته الابتدائية والثانوية .

دراسته الابتدائية والثانوية وتكوينه السياسي :

إن الدراسة الابتدائية والثانوية بالمفهوم العصري ، لا وجود لها في بداية هذا القرن العشرين في وادي ميزاب قبل سنة 1935 م بل كانت هناك بعض كتاتيب والمحاضر القرآنية لتعليم الصغار والطلبة لحفظ

القرآن الكريم ومبادئ القراءة والكتابة والعقيدة والفقه وسيرة الرسول الكريم ﷺ ولما بلغ إبراهيم بيوض السادسة من عمره أدخله أبوه في هذه الكتاتيب واستمر في التعليم فيها فحفظ القرآن الكريم واستظهره كاملا وهو لم يبلغ في عمره ثلاث عشرة سنة .

ومما لا شك فيه أن الأستاذ له تأثير فعال في طلابه دينا ، وأخلاقا ، وسلوكا ، ولقد عبر إبراهيم بيوض عن أثر أستاذه الأبريكي في تكوينه النفسي بما يلي (إن هذه المدة في معهد شيخي الأبريكي هي أهم فترات التعلم والتكوين في حياتي ، فهي التي كونت عقلي وضميري ومكنتني من أصول الشريعة ومبادئها ، والنحو والتاريخ وتاريخ الصحابة رضوان الله عليهم) .

وبعد وفاة شيخه الحاج إبراهيم الأبريكي سنة 1911 م خلفه الأستاذ أبو العلاء عبد الله إبراهيم في التعليم وبعده الشيخ الحاج عمر بن يحيى المتوفى سنة 1921 ولذا يعد الحاج عمر بن يحيى هو الأستاذ الثالث للشيخ بيوض رحمه الله .

وفي ضوء هذه الأحداث التاريخية ، فإن السنوات التي قضاها مع أستاذه الشيخ الحاج عمر بن يحيى ، قد أخذت منعطفًا جديدًا تجلّى في تعميق وتأسيس ثقافته العربية الإسلامية ، لاسيما العلوم العربية والدينية وبعض العلوم المنطقية والاجتماعية والسياسية . وحينما بلغ إبراهيم بيوض السنة السادسة عشرة من عمره أصبح مساعداً لأستاذه في معهد

الشيخ عمر بن يحيى ، لأنه أظهر ذكاء حادا ، وذاكرة قوية ، ونطقا عربيا سليما ، وأخلاقا عالية ، وهذا الأمر يعود في جوهره إلى عصامية الشيخ بيوض الذي اعتمد على اجتهاده الدائم ومطالعه المثمرة ، واحتكاكه بالأدب القديم والحديث .

يقول الشيخ بيوض رحمه الله (ووصلتنا دواوين الشعراء الفحول التي طبعت في هذا العهد ، ديوان المتنبي والبحري وغيرها ، فقرأتها وحدي ونفعتني نفعا عظيما في باب الفصاحة والعربية وقرأت في الأدب الحديث في هذا العهد مؤلفات المنفلوطي - النظرات - والشاعر والفضيلة وغيرها) . ثم إن الشيخ بيوض رحمه الله ، رغم صغر سنه فإن الإرهاصات السياسية والاجتماعية بدأت تؤثر في تكوينه السياسي العام من خلال الصحف والمجلات والدوريات التي تصل إليه من المشرق العربي يقول رحمه الله (وفي هذا العهد كانت تصلنا مجلة المنار للشيخ رشيد رضا ، فنقرأها في الندوة باهتمام كبير وأعيد قراءتها متلذذا بمواضيعها الدسمة المنعشة ، وكذلك طريقة الشيخ محمد والشيخ رشيد رضا في التفسير ، وكانت فائدها لي عظيمة وعوائدها الحسنة علي لا تحصى) .

وهكذا فإن بذور الفكرة الإصلاحية الفعالة في شخصيته بدأت تغرس عروقها في قلبه وسلوكه واثقا كل الثقة المطلقة بأن الحركة الإصلاحية الإسلامية ستغير لا محالة البنيات الاجتماعية وسلوكاتها العامة فردا وجماعات في ميزاب والجزائر .

إبراهيم بيوض وجهاده الإصلاحى التربوي :

أخي المسلم الكريم : اعتقد أنك تدرك كل الإدراك أن الإنسان مهما كانت قوته الجسدية والفكرية لا يمكنه أن يعيش منعزلا وبعيدا عن المجتمع البشري ، وألا فقد جدارته وإنسانيته ، ومن هنا قال العلماء : إن الإنسان اجتماعي بالطبع وهو في حاجة إلى تربية اجتماعية دائمة مستمرة ، لأن الإنسان أطول المخلوقات رعاية وحضانة من الحيوانات الأخرى ، لأن التربية هي ظاهرة حضارية إنسانية وهي الطريقة الجوهرية لأي تقدم وإصلاح اجتماعي .

وانطلاقا من هذه الفكرة التربوية الشاملة فإن الشيخ بيوض ، قد أدرك بثاقب فكره الواعي أن التربية السليمة الهادفة في أسسها يجب أن تنطلق من سلوك الفرد الذي يحتك بعدة مؤسسات اجتماعية ودينية واقتصادية ، كالأسرة ، والشارع ، والمسجد ، والمدرسة . لاسيما المسجد الذي قام بدور جوهري وحيوي في حضارتنا الإسلامية قديما وحديثا باعتباره المركز الإشعاعي الأول في حقل التربية دنيا وأخرى . وهكذا نرى أن الشيخ بيوض رحمه الله قد أعتمد كل الإعتماد على المسجد باعتباره مؤسسة تربوية دينية لكل طبقات الناس ، رجالا ونساء ، شبابا وشيوخا ، أميين ومثقفين الخ ، إن هذه الحقيقة الجلية قد أدركها كل الإدراك الشيخ بيوض رحمه الله ، فدخل حلقة العزابة سنة 1922 م . بجدارة وكفاءة لا مثيل لهما ، دينا ، إخلاصا ، علما ،

وشجاعة ، فأمسى إماما بمسجد القرارة . بعد كفاح طويل شاق ضد خصومه الذين حاولوا بكل قوة إيقاف وقتل الحركة الإصلاحية في مهدها بأي ثمن وفي ضوء هذا ، فإن الشيخ بيوض قد احتك بكل الشرائح الاجتماعية المختلفة ، فأظهر قدرة فائقة في الدعوة الإصلاحية والوعظ الديني ، معالجا الآفات الاجتماعية والفساد الخلقي معتمدا في ذلك على القرآن الكريم والسنة الشريفة وسيرة الصحابة رضي الله عنهم مع فتح باب الاجتهاد أما قضايا العصر ، ولكن هذه الحركة الإصلاحية تبقى ناقصة جدا ما لم تدعم بتعليم عربي إسلامي معاصر يقوم على التربية القرآنية الأصيلة .

واعتمادا على هذه البديهية والحقيقة التاريخية فإن الشيخ بيوض رحمه الله دعا في أوائل نهضته الإصلاحية في الجزائر ووادي ميزاب بكل طاقته إلى تأسيس المدارس العربية الحرة التي تهتم بتربية النشء تربية قرآنية بحيث توازي المدارس الفرنسية من حيث التنظيم والدراسة ، فهذا في نظره هو الحل الوحيد والسليم لمواجهة الثقافة الفرنسية الهادفة إلى مسخ الشخصية الإسلامية الجزائرية وتعميق أصالتها . ومن هنا بدأ بتدشين أول معهد عربي إسلامي في القرارة وذلك في يوم الجمعة 28 شوال 1343 هـ الموافق لـ 21 ماي 1925 م .

إن هذا المعهد كان تحت إدارة وتسيير الشيخ بيوض بحيث كان فيه معلما ، مهذبا ، وموجها للطلبة ، إذ تأثر أشد التأثر بالمدرسة الإصلاحية

العبودية في دروسه ومنهجه ، يقول الشيخ بيوض : (إن مقصدي في هذه الدروس وغيرها هو مقصد الشيخ محمد عبده ، أن أخلق عقولا تتذوق بلاغة القرآن ونفوسا فيها طهر القرآن وتلاميذ مصلحين يكونون جند القرآن) .

وفي ضوء هذا ، فإن الشيخ بيوض رحمه الله أعطى كل ما يملك لتفسير القرآن الكريم ، الواقع أن منهجه في التفسير لا يختلف عن المدرسة الإصلاحية العبودية والبادسية في التفسير ومنهجه يعتمد أساسا على تطهير العقيدة الإسلامية من البدع والخرافات وغرس فيها أخلاق القرآن عقيدة وسلوكا صالحا .

ومن هنا فإن الشيخ بيوض قد افتتح درس تفسير القرآن الكريم في غرة محرم سنة 1353 هـ بعد أن أتم تفسير جزء عم ثم اختتمه يوم 25 ربيع الثاني 1400 هـ الموافق لـ 12 فيفري 1980 م وأقيم له مهرجان قرآني عظيم للختم يوم 23 ماي 1980 م ، وحضر في الحفل عدة أعلام ووزراء اعترافا بعمله وجهاده الطويل ضد الاستعمار الفرنسي منذ شبابه ومن هنا لم يكن بعيدا عن الثورة الجزائرية التي اندلعت في أول نوفمبر 1954 م إلى غاية الإستقلال ، يقول السيد عبد الله بن طوبال أحد مفجري الثورة وأقطابها (إن الفضل يعود إلى الشيخ بيوض في إنقاذ وحدة التراب الوطني وبقاء الصحراء بكل خيراتها جزائرية وبدونه لكان يمكن أن تستمر الثورة التحريرية عقد آخر) (الشيخ بيوض والعمل السياسي ص 152) .

وبعد هذا الجهاد الاسلامي العظيم توفي شيخنا وذلك مساء الاربعاء 8 ربيع الأول سنة 1401 هـ الموافق لـ 14 جانفي 1981 م فشيخ جثمانه الطاهر في موكب خاشع حضرته السلطات المحلية والعليا والشيوخ والطلاب ، وميزاب كله رحم الله شيخنا وأسكنه جنات عدن آمين ، إلا أن هناك رائدا من رواد الحركة الإصلاحية الذي هذب شيخنا بالأخلاق القرآنية وحمل رؤيته في نشاطه الفكري الإسلامي الأصيل وهو العلامة الشيخ علي يحيى معمر ، الذي سنتناول عظمة هذا الرجل في صفحاتنا القادمة بإذن الله .

الشخصية العاشرة

الشيخ علي يحيى معمر

مقدمة :

لا شك أن هناك شخصيات عظيمة تركت بصمات عميقة في الفكر الإسلامي المعاصر . فهذه الشخصية التي تناولها اليوم هي من ذلك النمط الذي يبقى ثابتا ، شامخا ، يفرض نفسه على كل عالم ناقد مهما حاول أن يتمرد عليه بسبب بسيط ، وذلك أن فكره الموضوعي قائم على مبادئ عقلية كلية ، وإذا رفضناها وقعنا في تناقض واضح ، مع تلك المبادئ ، ومن هنا فإن الناقد الملتزم بالروح العلمية وأخلاقيات الإسلام يحتفظ بحرية فكره ولا يتسرع في إصدار الأحكام إلا بعد نقدها نقدا موضوعيا بحيث لا يعترف إلا بسلطة العقل الناقد المدرك لخدمة الحقيقة العلمية البعيدة عن الأهواء الذاتية والسياسية ، فإذا التزمنا بهذا الشرط الجوهري والضروري فإننا نجد أنفسنا نخدم وحدة المسلمين القائمة على المحبة المتبادلة الخالصة .

ووفاء لهذه الشخصية الكريمة ، تقدم لكل مسلم غيور على وحدة الإسلام ، نبذة مختصرة عن حياة هذا الشيخ الجليل لتكون لنا عبرة في سلوكنا .

الشيخ علي يحيى معمر : نسبه - مولده - تعلمه :

هو علي يحيى معمر النالوتي النفوسي الليبي ولد بمدينة نالوت بالجماهيرية الليبية سنة 1919 م ، نشأ رحمه الله في أسرة شريفة ، عريقة في الدين والمحافظة على الأخلاق الإسلامية العملية الصالحة ، إن هذه الأسرة الكريمة ، قد أثرت فيه أدبا ، وأخلاقا ، وورعا . فهذه العائلة تعتمد في رزقها على النشاط الفلاحي وتربية المواشي ، وما تنتجه الأم من منسجها التقليدي فأسرته كانت تسكن قرية تكويت إحدى قرى نالوت ، ولما بلغ سن الدراسة أدخله والده كتاب قريته وتعلم على أستاذه الأول وهو الشيخ العزابي عبد الله بن مسعود الكباوي ، الذي أخذ عنه بعض المبادئ العربية وأصول العقيدة وبعض سور القرآن الكريم ، ثم دخل المدرسة الرسمية حيث اعتنى به أستاذه عيسى بن يحيى الباروني الكباوي وشاءت الصدف السعيدة أن يستقر العالم الشيخ رمضان بن يحيى الليني الجربي في نالوت مدرسا ومهذبا ومرشدا لطلاب هذه المدينة ، فلزم الشيخ علي يحيى معمر هذا الشيخ ونهل من معارفه ، وفي سنة 1927 م سافر إلى جربة ليستزيد من

معارف شيخه رمضان بن يحيى الليني الذي غادر نالوت ، وفي تونس تردد الشيخ علي يحيى معمر ، على جامع الزيتونة ودروس الشيخ محمد الثميني الإباضي ، وحينما بلغه صدى معهد الحياة بالقرارة بوادي ميزاب قصده سنة 1357 هـ - 1938 م . ومكث في احضانه سبع سنوات وتعلمذ على شيوخه لا سيما الشيخ بيوض والشيخ عدون وغيرهم ، بحيث وجدوا فيه القدرة الكافية في تحمل مسؤولية التدريس في هذا المعهد فأصبح طالبا وأستاذا في آن واحد ، فبرز بين أقرانه وأساتذته بالمعلم الكفاء .

نشاطه الفكري ومؤلفاته الداعية إلى وحدة المسلمين :

لقد ساهم مساهمة فعالة في تنشيط الحركة الثقافية والأدبية والرياضية بالقرارة ، لا سيما دوره الإيجابي في تحرير مجلة الشباب بالمعهد وتأليفه لعدة أناشيد إسلامية ووطنية تمتاز بصدق العاطفة وحسن السلك ومتانة الأسلوب العربي الفصيح وحينما رجع إلى ليبيا سنة 1945 م شمر عن ساعديه حاملا لواء الجهاد ، متحديا الصعاب أمرا بالمعروف ، وناهيا عن المنكر في مجتمعه ، امتهن مهنة التدريس من معلم إلى مدير إلى مفتش إلى خبير تربوي . وأخيرا استقر به المقام بوزارة التربية والتعليم في طرابلس الغرب حتى وافته المنية رحمه الله وذلك يوم الثلاثاء 27 صفر 1400 هـ الموافق لـ 15 جانفي 1980 م على الساعة الحادية عشرة رحمه الله وأسكنه جنات الخلد آمين .

وإذا اعدنا إلى نشاطه السياسي يكاد أن ينعدم ، لأنه يرى أن السياسة ما هي إلا طريقة ملتوية تهدف بالإنسان إلى الشهرة أو الحكم بأية طريقة ، فغايتها تبرر أية وسيلة شريفة أو غير شريفة لذلك ولكن بالرغم من هذا فإنه انضم إلى الحزب الوطني الليبي بعد خروج إيطاليا من ليبيا ، ولكنه بعد حين انفصل عنه وعن النشاط السياسي كلية ، وأفرغ طاقته في النشاط الثقافي وخدمة مجتمعه وذلك بتأسيس مدارس ابتدائية ومساجد ، حيث أسس جمعية الفتح ومدرسة الفتح بمدينة طرابلس الغرب وذلك في أواسط السبعينات .

وفي ضوء هذا ، لا بد أن نشير إلى مؤلفاته الفكرية : لقد كتب شيخنا رحمه الله في عدة مواضيع مختلفة في الفقه والسير والأدب والإجتماع والتاريخ إلا أن شهرته ارتبطت بتاريخ الإباضية حيث كشف الحقائق لمن يجهلها أو يحرفها عمدا ، لأسباب سياسية محضة ، معتمدا في ذلك على النقد الموضوعي ومحكما القرآن الكريم وسنة رسول الله ﷺ وجملة القول أن مؤلفاته تمتاز بالدعوة الصادقة إلى وحدة المسلمين وخدمتها ، شعاره قول الله عز وجل ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُون﴾ (الأنبياء : 92) ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (النحل : 125) .

وفي هذا المنظور يجدر بنا أن نبين مؤلفاته التالية :

1 - الإباضية في موكب التاريخ - أربع حلقات .

2 - الإباضية بين الفرق الإسلامية

3 - سمر أسرة مسلمة .

4 - الميثاق الغليظ .

5 - الفتاة الليبية ومشاكل الحياة .

6 - الأقانيم الثلاثة .

7 - الإسلام والقيم الإنسانية .

8 - فلسطين بين المهاجرين والأنصار .

ثم ترك لنا عدة رسائل وبحوث ومقالات وتعاليق ومسرحيات - هذه الموضوعات كلها تدور حول القضايا الإنسانية وموقف الإسلام منها لأن المسلمين اليوم في نظره جعلوا المصالح المادية والسياسية أساساً لفهم القرآن الكريم والسنة وبالتالي جعلوا تلك المصالح هي الميزان لأحكامهم ولم يجعلوا القرآن الكريم والسنة المطهرة أساساً وميزاناً لطبيعة أحكامهم يقول الشيخ علي يحيى معمر رحمه الله (إن الدعوة إلى الإستمسك بكتاب الله ، والإعتصام بهدى رسول الله ﷺ والإعراض عما سوى ذلك من المذاهب والنزعات ، هي الدعوة التي يجب أن يدعو إليها كل مسلم يحب الخير لنفسه ويحب الخير لقومه ، ويحب الخير للإنسانية ، وإذا دعوت الإعتصام بدين الله ، والرجوع إلى حكمه ، في قضايا الفرد وقضايا المجتمع ، وقضايا الإنسانية جمعاء ،

فإنني أدعو إلى ذلك وأنا مؤمن أنه ما من طريق تسعد به البشرية غير هذا الطريق (الإباضية في موكب التاريخ جزء 1 صفحة 162) .
وهكذا فإن الشيخ علي يحيى معمر يرى أن المسلمين كلهم سواسية ، أمام الحكم الإلهي الذي لا يفرق بين هذا وذاك ومن هنا فإن أصحاب كتاب المقالات قديما ، قد ارتكبوا أخطاء تاريخية وعلمية في حق إخوانهم الإباضية وذلك بعدم الرجوع إلى مصادرهم لأخذ آرائهم بكل صدق وأمانة ونزاهة لأن الأخلاق الإسلامية تدعو إلى ذلك قبل البحث العلمي الموضوعي .

الشيخ علي يحيى معمر وكتاب المقالات في القديم والحديث :
يرى الشيخ علي يحيى معمر أن كتاب المقالات في القديم والحديث لم يلتزموا بالأمانة العلمية وأخلاق الإسلام حينما كتبوا عن المذهب الإباضي لا سيما الأشعري والبغدادى ومن قلدهما ، إن العلة في نظره تكمن في عدم الرجوع إلى المصادر الإباضية المباشرة ثم إن تلك الدراسات كانت تحت تأثير السلطة السياسية الحاكمة ، ومن هذا المنطلق التاريخي والعلمي يرى أن المذهب الإباضي قد حاربه الأنظمة الملكية الإستبدادية بدافع الأهواء والسلطة لا لشيء آخر ، ثم إن الناقد الموضوعي لا يدعي للإباضية الكمال والعصمة والتركية بقدر ما يريد أن ينصف رجال الفقه والتاريخ مذهبهم ، لأن أغلبية هؤلاء الكتاب

قديمًا وحديثًا ، يرون أن الإياضية فرقة من فرق الخوارج ، دون أن يحددوا دلالة الخوارج دينيًا ، تاريخيًا ، سياسيًا ، بالرغم أن هذه الدلالة لها حكم تقييمي نسبي ومن هنا يرى ويؤكد لابد من عودة الإسلام الأصيل إلى المجتمع لترجع البشرية كلها إلى ربها ، لا تفاضل إلا بالتقوى والأعمال الصالحة ، وغير هذا فهو جاهلية وذلك بالتفاخر بالمذهبية الضيقة ولا بأس أن تشهد برأيه يقول رحمه الله (يا أخي في الله !!!) إنما تتحطم المذهبية بالمعرفة والتعاون و الإعراف ، فبالمعرفة يفهم كل واحد ما يتمسك به الآخرون ، ولماذا يتمسكون به ، وبالتعاون يشتركون في السلوك والأداء الإجتماعي للعبادات برضي ويعطيه مثل الحق الذي يعطيه لنفسه - اجتهد فأصاب أو اجتهد فأخطأ - وفي ظل الأخوة والتسامح تغيب التحديات وتجد القلوب نفسها تحاول أن تصحح عقيدتها وعملها بالأصل الثابت في الكتاب والسنة غير خائفة أن يقال عنها تركت مذهبًا أو اعتنقت مذهبًا .

ولن نصل إلى هذه الدرجة حتى يعترف اليوم أتباع جابر وأبي حنيفة والشافعي وزيد وجعفر وأحمد وغيرهم ممن يقلدهم الناس أن أئمتهم أيضا يقفون في صعيد واحد لا مزية لأحدهم على الآخرين إلا بمقدار ما قدم من عمل خالص لله .

وهكذا فإن أستاذنا الشيخ علي يحيى معمر رحمه الله يريد أن يكون المقياس الوحيد للتمايز بين المسلمين هو العمل الصالح الخالص لله فقط وغير هذا الأمر فهو جاهلية المذاهب .

وفي رحاب هذه الأخلاق القرآنية نقول : إن مؤلفاته قد أتت أكلها الطيب والحمد لله ، بحيث نجد عدة أعلام معاصرين قد أنصفوا في أحكامهم لما كتبوا عن الإباضية كالأستاذ عوض خليفات الأردني - ومهدي طالب هاشم العراقي ، وعمر بن الحاج محمد صالح با السنيغالي - بعد هذا العرض المقتضب لحياة الشيخ علي يحيى معمر رحمه الله ، تنتقل إلى دراسة حياة أحد الجنود المجهولين الذي عمل في الحقل الإصلاحية بإخلاص وهو الشيخ صالح بابكر رحمه الله .

الشخصية الحادية عشرة

الجندي المجهول الشيخ صالح بن قاسم بابكر

تمهيد :

أيها المسلم الكريم : إن هذه الدراسة التحليلية المختصرة التي نضعها اليوم بين يديك ما هي إلا محاولة تمهيدية لفهم الحركة الإصلاحية التي تمتد جذورها العريقة إلى رجال عظماء في وادي ميزاب : كقطب الأئمة محمد بن يوسف أطفيش والشيخ بيوض والشيخ أبو اليقظان والشيخ عبد الرحمن بكلي والشيخ صالح بن قاسم بابكر ، إن هؤلاء قد أعادوا إلى أمتنا الإسلامية وجودها وكيانها ، داخلها وخارجها وحرروها من الجاهلية القديمة والتبعية الغريبة دينا ، ولغة ، وأخلاقا ، فهؤلاء الأعلام رحمهم الله قد تجشموا محنا صعبة جدا ، وقدموا تضحيات كبيرة في سبيل أمتهم . إن هذا الشعور الأخلاقي الدافق هو الذي دفعنا بالضرورة إلى أن نلقي الأضواء على الجندي المجهول الشيخ صالح بابكر

رحمه الله في إطاره التاريخي ، لأن أغلبية المؤرخين والناس عامة ينسبون الأعمال العظيمة الى رجال عظماء مشهورين تاريخيا لذلك العصر كعمر بن الخطاب ، وهارون الرشيد وابن باديس والشيخ بيوض ، والواقع أن هؤلاء ليس في إمكانهم أن يعملوا بمفردهم في مجتمعهم لأن العمل مهما كانت طبيعته المادية أو الفكرية فهو ظاهرة إجتماعية مرتبطة بعدة أفراد وجماعات ، وإذا عدنا إلى نشأة الحركة الإصلاحية بغرداية فإنها تنسب إلى ذلكم الرجل المجهول وهو شيخا بابكر صالح رحمه الله ، ومن هنا فإن النشء الجديد يعتقد أن الحركة الإصلاحية التي يتمتع بشارها الطيبية قد جاءت صدفة ومجانية بدون جهاد مستميت لتحقيق مثل أعلى في مجتمعنا ، لإزالة مظاهر الجهل والفقر والمرض والجمود الفكري وهذا الأمر يتطلب تحليل الحضارة المعاصرة التي أثرت في مفاهيم الأفراد والمجتمعات سواء في وادي ميزاب أو الجزائر أو العالم بأكمله - لأن وادي ميزاب لا يمكنه أن يشذ عن المجتمع البشري -

وفي ضوء هذه الواقعة الإجتماعية الطبيعية ظهرت في وادي ميزاب حركة سلفية تقليدية بزعامة الشيخ حمو بن باحمد بابا أوموسى رحمه الله (1871 م - 1957 م) صاحب كتاب الحجج الدامغة لبدع الفئة الزائفة ، فهذه الحركة قد رفضت الحضارة المعاصرة جملة وتفصيلا باعتبارها مظهرا من مظاهر المسيحية سواء كانت مادية كالتصوير

والتليفون والعلاج بالأدوية الأوروبية ، وآلاته... إلخ أو فكرية الإجهاد في قضايا العصر : كاستعمال الهاتف في شهر رمضان صوما أو إفطارا ، وتعليم البنات ، ونحن نعتقد أن هذه الحركة السلفية التقليدية كان هدفها الأول والأخير بالنسبة إلى أوائلها هو المحافظة على مقومات الشخصية الإسلامية وعدم الذوبان في الحضارة الغربية .

وأما الحركة الثانية فهي الحركة الإصلاحية التي تزعمها الشيخ بيوض رحمه الله حيث ترى أن هدفها هو المحافظة بالدرجة الأولى على الإسلام الذي يدعوننا إلى العلم والقوة ونبذ جميع الأفكار الجامدة التي تتنافى مع روح الإجهاد الذي يكفل للشخصية الإسلامية الحياة والإستمرار ، ولابد من الأخذ بأسباب القوة المدنية الغربية ما دام أمرها لا يتعارض مع النص الشرعي الواضح في القرآن والسنة . إن النظرة العلمية الموضوعية تنظر إلى هذه الظاهرة العامة أنها شيء طبيعي ، لأنها تنم عن استمرار الحياة بين الجديد والقديم ، وبين التطور والثبات في كل المجتمعات ولعل من المفيد أن نورد هذه الحادثة التي أوردها الشيخ يوسف القرضاوي في شمال أمريكا (ولقد راعني أن وجدت بعض الشباب المخلصين من بعض الجماعات الإسلامية في أمريكا ، قد أثاروا جدلا عنيفا في أحد المراكز الإسلامية ، لأن المسلمين يجلسون على الكراسي في محاضرات السبت والأحد ، ولا يجلسون على الحصير أو السجاد كما يجلس أهل المساجد ، ولأنهم لا يتجهون في جلوسهم إلى

القبلة كما هو أدب المسلم ، وأنهم يلبسون البنطلونات لا الجلابيب البيض ، ويأكلون على المناضد لا على الأرض... الخ . وقد غاظني هذا النوع من التفكير والسلوك في قلب أمريكا الشمالية وقلت لهم : أولى في هذا المجتمع اللاهث وراء المادة ، أن تجعلوا أكبر همكم الدعوة إلى توحيد الله تعالى وعبادته ، والتذكير بالدار الآخرة ، وبالقيم الدينية العليا) (الصحة الإسلامية بين الجحود والتطرف صفحة 44) .

والواقع التاريخي ، أن وادي ميزاب شهد هذا الصراع الحضاري ، وهذا الجدل الفكري بين الحركة السلفية التقليدية والحركة الإصلاحية الداعية إلى فتح باب الإجتهد إزاء قضايا العصر وتطهير العقيدة الإسلامية من كل مظاهر البدع والخرفات والجهل والدفاع المستميت عن الإسلام إزاء الاستعمار الفرنسي والمبشرين والمدجلين وتكوين شخصية الفرد تكويناً وطنياً إسلامياً ، مع المحافظة على المذهب الإباضي في ظل الأخلاق القرآنية وقداصة الوحدة الإسلامية التي هي غايتها النبيلة .

بهذا الأسلوب العملي الصالح استطاعت أن تفرض الحركة الإصلاحية وجودها الفعال في وادي ميزاب ، ونجد شيخنا صالح بابكر من أكبر دعاة المتحمسين لتلك المبادئ التي أشرنا إليها سابقاً ، ومن هنا يجدر بنا أن نستعرض حياته وجهاده في سبيل بناء أمة إسلامية صالحة ، وقوية .

الشيخ صالح بابكر ، مولده ونشأته الأولى :

ولد شيخنا الكريم صالح بابكر سنة 1904 م بغرداية ونسبه هو صالح بن قاسم بن الحاج عيسى بابكر وهو ينسب إلى عشيرة آل الحاج مسعود الكريمة بغرداية ووالدته هي لالة بنت عمر نجار .

أما والده قاسم فكان تاجرا بمدينة عين البيضاء بالشرق الجزائري وهو كثير المطالعة والإهتمام بقضايا مجتمعه المتعلقة بدينه ومصيره وقد رزقه ثلاثة أولاد : صالح وعيسى وداود ، وحينما بلغ الإبن صالح عمره سبع سنوات أدخله والده في الزاوية القرآنية التي تنسب إلى الشيخ علي الجربي بعين البيضاء لحفظ القرآن الكريم ، والحديث الشريف وتعلم في هذه الزاوية الكتابة والقراءة والنحو والصرف وسيرة الرسول الكريم محمد ﷺ وحياة الصحابة رضي الله عنهم .

والملاحظ في هذه الحادثة أن الإبن صالح قد غادر مسقط رأسه غرداية وهو طفل صغير ، لا شك أن هذا السفر قد أثر في تفكيره وسلوكه ومزاجه العام ، وتكوين شخصيته التي تعتمد في هذه الحال على نفسه دون اعتماده على الأم الحنون التي من طبيعتها تحنو على ابنها عاطفيا في كل شيء لا سيما في سنواته الأولى وهكذا فإن أباه الكريم السيد قاسم كان يتمنى أن يكون أحد أبنائه عالما يخدم الإسلام ، إن هذه الأمنية نلاحظها في كل مسلم غيور على الإسلام ومستقبله .

وبالفعل فإن هذه الأمنية قد تجلت في إرسال ابنه قاسم وعيسى

إلى تونس للتربية والتعلم ، وذلك سنة 1920 م بفضل السيد الكريم صالح بن عمر سيوسيو الذي استوطن تونس ، وكانت له علاقة أخوية وتجارية مع جماعة إباضية عين البيضاء وطلب من هؤلاء إرسال أبنائهم إلى مدرسة السلام بتونس التي أنشأها الشيخ أبو اليقظان رحمه الله بمساعدة أولياء تلاميذ الذين يدرسون فيها من أبناء الجزائريين والتونسيين الميزابيين وغيرهم .

وعين على هذه المدرسة السيد الشيخ الشاذلي المرالي مديرا لها وافتتحت رسميا في رمضان 1332 هـ - 1914 م . ومكث شيخنا عدة سنوات في تونس ورجع منها نهائيا وذلك عام 1925 م في هذه السنة بذاتها ، حدث مكروه بأبيه قاسم رحمه الله ، إذ وافته المنية في رأس توزوز بغابة غرداية بعد غيابه عدة أيام من المدينة . إن هذه الحادثة المؤلمة قد تركت أثر عميقا في نفسية شيخنا صالح بابكر رحمه الله ، حيث قصد مدينة عين البيضاء للعمل في متجر أبيه وإعادته إلى حالته الطبيعية الإقتصادية بعد إفلاسه ، وكان رحمه الله يعمل في تجارة أبيه صيفا ، إلا أن الجو الثقافي الذي عاشه في تونس وتأثره بأستاذه هناك كالشيخ أبي اليقظان والشيخ الشاذلي المرالي والشيخ محمد السعيد الخلصي ، هؤلاء قد جعلوا من مدرستهم السلام مدرسة قرآنية عصرية لأنها جمعت بين الأصالة والمعاصرة آنذاك ، لأنها تدرس العلوم الدينية وعلوم الحياة واللغة الفرنسية ، إن هذه الميزة الأساسية لا وجود لها

آنذاك في كُتاب مدن وادي ميزاب والجزائر ، لأن التعليم يقوم على تلقين القرآن الكريم وحفظ بعض المتون ولا يعير أي أهتمام للعلوم العصرية المستحدثة ، وهكذا فكر الشيخ صالح بابكر بنقل هذه التجربة التربوية إلى مدينة غرداية ووادي ميزاب .

الشيخ صالح بابكر : جهاده التربوي والإجتماعي :

قلنا إن شيخنا صالح بابكر قد عاد إلى الوطن سنة 1925 م ، وعمره واحد وعشرون سنة وهو شاب حيوي ثائر يحمل في نفسه طموحات لتغيير السلوكات الإجتماعية السائدة في مجتمعه ، لقد تيقن أن السبيل الأوحد للخروج من التخلف الإجتماعي ومظاهر الفساد الخلقي والفكري والإقتصادى يكمن في التربية والتعليم والثقافة لا غيرها ، ومن هنا فإن شيخنا بدأ ينشر فكرته الإصلاحية في الفئات الإجتماعية لا سيما طبقة الشباب التي هي من عاداتها تتمرد على القديم و تريد الإصلاح الإجتماعي ، معتمدة في ذلك على قول الله عز وجل ﴿إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب﴾ (هود : 88) .

وفي ضوء هذا المنطلق القرآني الكريم الهادف إلى إصلاح المجتمع ونشر الوعي الديني السليم تمكن شيخنا صالح بابكر بكل مهارة وذكاء من جمع خريجي مدارس تونس وبعض الشباب الواعي بمصير أمته من

تكوين وإنشاء جمعية الإصلاح بغرداية وذلك 30 رجب سنة 1346 هـ الموافق لـ 15 جانفي سنة 1928 م .

أما الشباب الذين ساهموا في هذا الحدث العظيم فهم : الشيخ صالح ابن قاسم بابكر ، والشيخ أحمد بن عيسى قزريط ، والشاعر حمود بن سليمان رمضان ، والأستاذ بابا بن إبراهيم بوعروة ، والشيخ سليمان بن الحاج إبراهيم المشهور بابن بنوح ، والسيد سليمان بن بكير أدباش . ومما لا شك فيه أن هؤلاء المجاهدين رحمهم الله قد وطدوا الحركة الإصلاحية وقارعوا الاستعمار العسكري والتبشير ومن يدور حولهما . ومن هنا يجدر بنا أن نشير إلى أعضائها الأولين الذين كانوا أعضاء في إدارتها وهم السادة : السيد أحمد بن حمو بغباغة ، الشيخ سليمان بن بنوح ، الشيخ أحمد بن عيسى قزريط ، السيد الحاج صالح بن إبراهيم حدبون ، السيد سليمان بن بكير أدباش ، السيد الحاج سليمان بوصوفة ، السيد أحمد بن موسى فخار ، السيد سعيد بن بكير أعوشت ، السيد سليمان بن قاسم رمضان ، والسيد داود بن الحاج قاسم بازين ، السيد محمد بن عمر دادي واعمر ، السيد يوسف بن أحمد عوف .

وهناك فئة أخرى آمنت بمبدأ الإصلاح وعملت بكل طاقاتها المادية والفكرية لمحاربة الآفات الاجتماعية والفساد الخلقي ومظاهر الجمود الفكري والتبشير المسيحي وعملت مع أب الحركة الإصلاحية صالح بابكر ، فهؤلاء هم : الشيخ أحمد بن عيسى قزريط الذي أشرنا إليه

سابقا ، وهو من خريجي بعثة تونس وكان عالما وداعية للعلم والصلاح ،
توفي عام 1933 م وعمره 46 سنة والعالم بابا بن الحاج داود طبّاخ ،
كان قاضيا عادلا ورئيس عزابة غرداية ، والسيد إبراهيم بن عمر
بوعروة ، والسيد عمر بن حمو أقصبي الذي لم يبخل بأمواله ومساكنه
التي كانت تحت تصرف الشيخ بيوض وزعماء الإصلاح الآخرين ، دون
أن ننسى العاملين المخلصين كالسيد أحمد بن بكير بن عبد الرحمن ،
والسيد إبراهيم بن الحاج بكير حواش . إن هؤلاء كانوا دعاة وحماة
للحركة الإصلاحية التي كانت تنتخب كل مرة بالإجماع الحردون
إكرام شيخنا صالح بابكر رئيسا لها لأخلاقه الكريمة : الإخلاص -
التواضع - الصبر - الوفاء - العمل لله . وفي ضوء هذا العمل الحركي
الإصلاحي المبارك نشأت بعون الله وقدرته مدرسة الإصلاح الأولى
وذلك في آخر شهر رمضان المعظم سنة 1351 هـ الموافق للثاني عشر
من شهر يناير سنة 1932 م ، إذ تم افتتاح مدرسة بايزي تحت إشراف
وإدارة الشيخ صالح بابكر وقد كان عدد التلاميذ أحد عشر حينئذ ، وكان
ضمن الحاضرين في هذا الحدث العظيم عدة شخصيات من بينها السيد
وكيل المسجد العتيق كيوكيو أحمد بن صالح ، وإمام المسجد السيد
كربوش الحاج صالح بن عمر ، وقاضي البلاد السيد طبّاخ بابا ، وهكذا
بدأت تظهر الحركة الإصلاحية تتقدم شيئا فشيئا إلى الأمام ، في
خطوات ثابتة ، وكان المعلم الأول لهذه المدرسة هو أب الحركة

الإصلاحية الشيخ صالح بابكر فأسمى معلما للقرآن والدروس أما المعلم الثاني فهو الشيخ صالح بن أيوب الحاج موسى ، وبعده انضم إلى هذه المدرسة الإصلاحية بالتعاقب الزماني عدة معلمين من بينهم : السيد قورت أحمد بن سعيد ، تيشوشاي صالح بن سعيد ، الطالب الحاج سعيد أحمد بن سعيد ، الشيخ دادي واعمر ابراهيم بن الحاج بكير ، الحافظ الجيد لكتاب الله عز وجل ، السيد رأسنعامه عمر بن إبراهيم ، السيد الحاج الأخضر قارة ، السيد سعيد بن سعيد بابهنون ، السيد رمضان إبراهيم صالح والسيد عدون سليمان بن الناصر وغيرهم .

وفي سنة 1942 م عرفت الحركة الإصلاحية دفعة جديدة وفاعلية حيوية ، بظهور الشيخ بنوح بن الحاج أحمد مصباح الذي لم يخل بوقته وإخلاصه وخبرته التعليمية المكتسبة بتونس فكان عضوا فعالا في مجال التعليم والوعظ والإرشاد الديني بالمدرسة والمسجد حيث أسندت إليه أمانة مالية جمعية الإصلاح بعد وفاة الحاج صالح بن إبراهيم حذبون إلى يومنا هذا ، فكان مثلا للورع والصدق والأمانة في أعماله حفظه الله أمين .

وفي ظل هذا الكفاح المرير ضد الأمراض الاجتماعية وآفاتهما المؤثرة في سلامة المجتمع ومصيره ووجوده أدرك شيخنا الكريم صالح بابكر أن المجتمع السليم لا يمكن أن يتحقق إلا بوجود دعائمين الرجل والمرأة أي الذكر والأنثى لتستمر الحياة ، فهذا هي سنة الله في الوجود ،

إذن فالشخصية الإسلامية تتجلى في المرأة والرجل ، لا إنقسام بينهما
ومن هنا رأي بعض المصلحين أن مهمة التربية والتعليم تبقى مشلولة ،
ناقصة ما لم تأخذ البنت حقها الأوفر من التربية والتعليم في إطار
الأخلاق الإسلامية وماتقضيهِ الفطرة ويقضيهِ العقل المجرد عن الهوى
لأن الهدف من تهذيب البنت وتعليمها أن تكون امرأة صالحة مسلمة
وزوجة وربة بيت تربي الأجيال في أحضان الأخلاق القرآنية ، وهذا هو
الهدف الأسمى لكل جمعية خيرية إسلامية تريد الخير لدينها ووطنها
وعلى أية حال فإن هذه الفكرة الجوهرية قد حُمِلها شيخنا صالح بابكر
مع الشيخ مصباح بنوح والسيد سعيد بن بكير أعوش والسيد عيسى بن
صالح الشيخ صالح والأستاذ عمر رأسنعام ، وبعد... حوار حار ومثمر
دام حوالي سنة كاملة ، افتتحت مدرسة البنات سنة 1950 م في دار
الأستاذ رأسنعام عمر بن إبراهيم الذي ضحى والده الكريم السيد إبراهيم
رحمه الله بمسكنه لتحقيق هذا الهدف النبيل - يقول الأستاذ عمر
رأسنعام في مذكرته ما يلي (موعد ذلك الإفتتاح في صبيحة يوم السبت
شهر ربيع الأول 1370 هـ الموافق لـ 10 ديسمبر 1950 م بعد أن دقت
الثامنة صباحا دقا مضبوطة ، وقد حضر الحفل كبار الجمعية وقادة قومها
وهم سادتها وكبارها في الجهاد المرير منهم سيدنا الشيخ صالح بابكر
والشيخ بنوح والعاذل الشيخ بابا إبراهيم والأديب الفيور الشيخ صالح
عيسى بن صالح والمعلم رأسنعام عمر فرحم الله على من فارق الركب

وحفظ الخلف ولم يبدل تبديلا ، فقد بلغ عدد الوافدات ستون بنتا ، يتراوح أعمارهن بين السابعة والثانية عشرة سنة) .

ومن هذا المنطلق التاريخي الفكري ، تمكنت اليوم البنت في غرداية أن تتعلم وتتهذب بالأخلاق الإسلامية وتعلمت كذلك في هذه المدرسة عدة مهن : كالنسيج والخياطة والصناعة التقليدية وتربية الأولاد ومعالجتهم وأمسى بعض منهن واعظات معلمات ومرشدات في الحقل الإجتماعي كالأعراس والمناسبات الدينية ، بهذا الأسلوب التربوي الهادف استطاع شيخنا صالح بابكر أن يعالج كثيرا من قضايا وهموم مجتمعه ، وبعد هذه الواجهة التربوية ننتقل إلى واجهة أخرى وهي الجانب الإجتماعي والسياسي .

إن شيخنا صالح بابكر رحمه الله لم يكن منعزلا عن مجتمعه أو كان يعيش في عالم المثل والنظريات الخيالية ، بل كان يعيش لأمته ، لقد شهد عليه أصدقاؤه وطلابه هذه الخاصية التي ذكرناها ، لقد شمر عن ساعده ليلا ونهارا لإصلاح سلوك المجتمع من خلال التربية القرآنية التي يعتقد اعتقادا جازما بأنها هي الحل الوحيد والعلاج الأمثل لكل الآفات الإجتماعية والفساد الخلقي ، وإذا عدنا إلى تاريخ جهاده مرة أخرى فإننا نلاحظ أنه كان يعمل ويجاهد في الحقل التربوي شتاء وريعا ، أما في الصيف فكان يعمل في المجال التجاري ليكسب قوت أولاده في عين البيضاء وبجاية التي استقر فيها ، وذلك ابتداء من سنة 1946 م

حيث افتتح فيها محلا تجاريا مع أخيه داود بابكر ، أما أخوه الثاني الحاج عيسى بابكر فقد امتهن السياقة وإصلاح السيارات ، والجدير بالملاحظة أن ذهابه إلى بجاية كان بنصيحة السيدين بابا وإسماعيل إسماعيل بن مسعود رحمه الله ، الذي يعد من أنصار الحركة الإصلاحية ماديا ومعنويا ، وبشيش الحاج عيسى بن أحمد الذي قل أن نجد نظيره في الورع والصفاء ومناصرة تلك الحركة الإصلاحية ماليا ومعنويا .

إن الشيخ صالح بابكر ، لم يكن يهدف من تجارته في الشمال إلى الربح المادي ، بقدر ما كان يهدف إلى غرس الأخلاق الإسلامية في الأوساط الإجتماعية بمدينة بجاية ، وكثيرا ما كان يحذر أبناء هذه المنطقة من أن الثقافة الفرنسية بدون إسلام عملي صالح هي سعي إلى تكوين شخصية جزائرية مرتدة عن هويتها الإسلامية ، وبالتالي غرس روح الشك في رسالة الإسلام وتكوين جيل لا يثق في دينه ولغته ومصيره ، والهدف من كل هذا هو ترسيخ الثقافة المسيحية في سلوك الجزائريين كي ينسلخوا من أصالتهم الإسلامية ، وفي ضوء هذا النضال الإجتماعي ، فإن شيخنا صالح بابكر رحمه الله ، قد عرف نضالا مريرا ضد الإستعمار الفرنسي ، وأنصاره ، حتى زج به في السجن العسكري بغرداية وذلك سنة 1938 م بأمر من الحاكم العسكري فيقوروس ، بسبب نشاطه الحركي الإسلامي والدعوة إلى حركة إصلاحية شاملة . أما بالنسبة إلى الثورة الجزائرية المسلحة التي اندلعت في أول نوفمبر ،

فإن شيخنا قد ناصرها ، ووقف بجانبها وكيف لا ، فقد شاهد ألوانا من العذاب الذي مارسه الإستعمار الفرنسي على الأمة الجزائرية المسلمة لقد تألم كثيرا بالوضعية المؤلمة التي عاشها الشعب الجزائري خلال الحرب العالمية الأولى والثانية وأحداث 8 ماي 1945 م كل هذه العوامل قد أثرت في تكوينه النفسي والسياسي ووجد نفسه آليا ينضم إلى خلية جبهة التحرير الوطني بغرداية ، إلا أن الأمن العسكري الفرنسي قد اكتشف أمره هو والسيد علي بن عمر الناصري المجاهد المخلص لأمتهم والسيد رمضان إبراهيم بن صالح وخمسة آخرين معهم ، وأدخل هؤلاء المجاهدون في السجن بالأغواط وحكمت عليهم المحكمة العسكرية هناك بستة أشهر ولما أفرج عنه استمر في نضاله السري واسندت إليه مصلحة الأمن العام ، بغرداية خلال الإستقلال ، إلا أنه تخلى عن هذه الوظيفة ، ليفرغ جهده الكلي في التربية ومعالجة القضايا الإجتماعية المستحدثة بمعية الأستاذ الكريم فخار حمو بن عمر الذي تصدى بكل إخلاص وتضحية وثبات إلى يومنا هذا ، لخدمة وتحمل مصلحة أمتهم ، فلا ترتاح نفسه ولا تتوقف عن العطاء حتى يشهد بأمر عينه أن غاياته قد تحققت في الواقع المعيش كنشأته المدرسة المتوسطة ومعهد الإصلاح ودار العلم وقاعات رياضية وفنية وإصلاح ما بين الناس . وهكذا فإن روح الشيخ بابكر صالح رحمه الله التي نفخها في أبنائه لا تزال تدفعهم إلى العمل الخيري ، وله الفضل العظيم كذلك في بناء مسجد باب سعد

الشرقي الذي عمل مع السيد ناصري علي بن عمر رحمه الله الذي أقنع آل الناصري بالتبرع بأرضهم في سبيل مشروع خيري ، تعاون فيه الجميع لا سيما السيد داود بن قاسم حواش (1904 م - 1990 م) رحمه الله . حيث لعب دورا هاما في بناء المسجد الكبير الذي دشنه سنة 1968 م وزير الشؤون الدينية والأوقاف آنذاك السيد العربي سعدوني .

ومما لا شك فيه أن السيد داود حواش رحمه الله ، كان أخا وفيا لشيخنا صالح بابكر الذي دفعه إلى إصلاح التعليم المسجدي في مجال المحاضر وتعليم البنت . إن السيد حواش كان له الفضل الكبير في إنشاء المدارس الابتدائية والمتوسطة ومعهد عمي سعيد الذي أسسه سنة 1977 م وكذلك قاعات حديثة لرياضة الكاراتي والإعلام الآلي ، إن هذه المؤسسات اليوم تقف على أسس إصلاحية لأنها أخذت بأسباب الحضارة الغربية ما دام وجودها لا يتعارض مع النص الشرعي القاطع ، وهذا ما سعت إليه الحركة الإصلاحية قديما منذ ظهورها سنة 1922 م بفضل الإمام الشيخ بيوض رحمه الله ، الذي لازمه شيخنا صالح بابكر في جهاده بحيث دخل معه معترك الحياة الاجتماعية والسياسية ، بإيمان قوي ثابت ، وبإرادة صلبة فعالة لتحقيق مجتمع إسلامي صالح تسود فيه الأخلاق القرآنية ، الإيمان بالله وبرسالة محمد ﷺ وبناء الأجيال إسلاميا ، والدعوة إلى العلم النافع ، وفي ظل هذه الأخلاق القرآنية ، فإن شيخنا لم يكن بعيدا عن قضايا أمته الجزائرية والإسلامية

بحيث كان يتابع باهتمام وشغف قضايا أمتة الإسلامية ، ودلينا على ذلك ، أنه كان يرسل أعلام المسلمين ويحثهم على العمل الحركي الإسلامي ، ومن بين هذه الأعمال إرساله كتاب عهد ونصح من حزب الإصلاح بميزاب لأهل عمان أرخ في يوم 11 من ذي الحجة 1383 هـ يقول فيه بعد البسملة : يسوءنا والله أن لا نسمع بعمان صوتا بين الممالك الإسلامية والدول العربية ، أليست هي التي قمعت طغيان الاستعمار البرتغالي ، ألم تكن فتحت الفتوحات الواسعة ، وحكمت فكان العدل منها سجية ، أبرزوا دولتكم للوجود وساهموا في إقامة الإسلام .

هذه كلمة أملاها علينا حب الخير لأمة شقيقة يربط بيننا وبينهم الدين .

وفقنا الله وإياكم لما يحبه ويرضاه وصلى الله على سيدنا وآله وصحبه ، دمتم لإخوانكم رجال الإصلاح بميزاب .

هذه هي بعض الفقرات من هذا الكتاب الكبير ، وبعد هذا تنتقل إلى صفاته الأخلاقية .

الشيخ صالح بابكر وصفاته الأخلاقية :

إن شيخنا الكريم كان يتميز بعدة فضائل أخلاقية حتى أمست في سلوكه سجية ثابتة فيه : الإيمان القوي - الإخلاص - الوفاء - التواضع

الصبر - الإحسان - الرحمة - الشجاعة - الكرم وفي رحاب هذه الأخلاق يمكننا أن نبين عمليا سلوكه الخيري وهو القدوة الحسنة . التي هي أفضل الوسائل المؤثرة في المجتمع ومن هنا فإن شيخنا رحمه الله ، قد حمل الفكرة الإصلاحية في دمه وروحه وسلوكه العملي ، ودليلنا الأكبر على ذلك ، أنه من عادته إذا جاء من أي سفر كان ، قصيرا أم طويلا ، فإنه يقصد المدرسة قبل عائلته وأولاده ثم يستفسر عن سير المدرسة ومشاكلها وكثيرا ما يدخل القسم مدرسا إذا وجد المعلم غائبا . والأهم من كل هذا أنه يكون أول من يدخل المدرسة وآخر من يخرج منها .

وفوق كل هذا ، فإنه إنسان صبور أمام البليات التي أصيب بها ، فيصدق فيه قول الحق تعالى ﴿إنا وجدناه صابرا ، نعم العبد إنه أواب﴾ (ص : 44) . لقد فقد أباه سنة 1925 م وأصيب في ماله وجسده ثم فقد ابنه الأكبر قاسم رحمه الله سنة 1963 م ويعد من الذين ساهموا في تكوين الكشافة الإسلامية الجزائرية ومات في سبيلها .

ثم فقد ابنه الثاني عبد العزيز 1971 م بسبب حادث سيارة ، وهو الذي غسله فكفنه ثم دفنه وهو شاب حيوي ، لم يتعد عمره عشرين سنة - وفي سنة 1974 ماتت زوجته التي شاركته في السراء والضراء وفي نفس السنة صدر قرار حكومي بتأميم كل المدارس الحرة وتوابعها ، فالجماعة عاشت في حيرة من أمرها . أما هو فقال لهم : إن للكعبة ربا

يحميها بل أرجع أمره إلى الله فكان الله معه ، وعاشت تلك المدارس تحت رعاية الله وحفظه إلى يومنا هذا . بعد هذا الجهاد المضني الشاق المثمر الذي أصبحت ثماره طيبة تؤتي أكلها كل حين . انتقل شيخنا رحمه الله في أثناء جهاده التربوي إلى جوار ربه يوم 21 مارس 1976 م فدفن بمقبرة عمي سعيد ، لقد حضر في تلك الجنازة العظيمة الشيخ بيوض رحمه الله والعلماء وأصدقاؤه وطلابه وعامة الناس شيوخا وشبابا إعترافا بجهاده وصلاحه وثباته على المبدأ ، فقد صدق الله عز وجل في حق هؤلاء المصلحين الأصلاء الأطهار ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا﴾ (الأحزاب : 23) .

الخاتمة

أخي المسلم : أرجو أنك قد وجدت ضالتك في هذه الدراسة المركزة في بعض الأعلام الإباضية الذين همشوا في تاريخ أعلام المسلمين ، لأسباب سياسية محضة إلا أن الإحاطة بكل أعلام المذهب الإباضي يعد أمراً مستحيلاً ، ونتمنى أن تظهر موسوعة الأعلام الإباضية في أقرب وقت ، بحيث نجد فيها أغلبية أعلامها إن شاء الله . لأن هذا البحث الذي قدم اليوم ما هو إلا جزء من الجزء لا أكثر .

أخي المسلم : قد تقرأ المذهب الإباضي ، فتجد فيه بعض الفروع الخلافية مع المذاهب الإسلامية الأخرى وهذا شيء طبيعي جداً ، مادامت هذه الآراء الإجتهدية ، وجدت سندها في القرآن والسنة فليكن أيها المسلم الكريم هدفنا الأول هو خدمة وحدتنا الإسلامية المقدسة لا تمزيقها ، وحسبنا أن نستشهد برأي الإمام حسن البنا رحمه الله يقول في رسالته دعوتنا (نعتقد أن الخلاف في فروع الدين أمر لا بد منه ضرورة ، ولا يمكن أن نتحد في هذه الفروع والآراء فنلتمس العذر كل العذر لمن يخالفوننا في بعض الفرعيات ونرى أن هذا الخلاف لا يكون أبداً حائلاً

دون ارتباط القلوب وتبادل الحب والتعاون على الخير ، وأن يشملنا وإياهم معنى الإسلام السابغ بأفضل حدوده ، وأوسع مشتملاته ، ألسنا مسلمين) . هذا هو الوعي العميق لروح الإسلام الذي يجب أن ندعو إليه في كل وقت ومكان مع أي مسلم .

في رحاب هذه الأخلاق الإسلامية السامية ، يمكن أن نقول : إننا قدمنا لمحة موجزة عن أعلامنا الذين تركوا أثرا طيبا في تاريخ أمتنا الإسلامية فالعبرة من هؤلاء العظام هي أخذ دروس عملية صالحة وتطبيقها في سلوكنا اليومي كي لا نرتكب الأخطاء التي وقع فيها أسلافنا رحمهم الله .

وأخيرا أختتم هذا العمل المتواضع بقول الله عز وجل ﴿ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين﴾ (فصلت : 33) والسلام .

بكير بن سعيد أعوش

أهم مصادر البحث

- 1 - ابن الصغير - أخبار الأئمة الرستميين .
تحقيق محمد ناصر وبحاز إبراهيم ، المطبوعات الجميلة الجزائر ،
1986 م .
- 3 - أبو زكرياء يحيى بن أبي بكر ، كتاب سيرة الأئمة وأخبارهم ،
تحقيق إسماعيل العربي المكتبة الوطنية ، الجزائر .
- 4 - بكير بن سعيد أعوش
أ) حركة أهل الدعوة والإستقامة في مكة والمدنية ، المطبعة
العربية - غرداية 1992 .
ب) الإمام إبراهيم بيوض وجهاده الاسلامي في الجزائر .
ج) قطب الأئمة محمد بن يوسف أطفيش ، المطبعة العربية
- غرداية 1989 .
- 5 - الدرجيني أبو العباس أحمد بن سعيد ، كتاب طبقات المشايخ
بالمغرب ، تحقيق إبراهيم طلاي مطبعة البعث ، قسنطينة .
- 6 - عوض محمد خليفات الأردني ، نشأة الحركة الإباضية - دار
الشعب عمان - 1978 .

- 7 - فرحات الجعبري ، البعد الحضاري للعقيدة الإباضية - المطبعة العربية - غرداية 1991 .
- 8 - محمد علي دبوز ، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة - المطبعة العربية الجزائرية ، 1971 .
- 9 - علي يحيى معمر - الإباضية في موكب التاريخ ، الجزء الأول الطبعة الأولى ، مكتبة وهبة - القاهرة .
- الإباضية دراسة مركزة في أصولهم وتاريخهم ، تحقيق د. محمد قاسم بوحجام - المطبعة العربية - غرداية 1985 .
- الإباضية بين الفرق الإسلامية المطبعة العربية - غرداية 1988 .
- 10 - العلامة نور الدين عبد الله بن حميد السالمي - تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان - تحقيق أبو إسحاق إبراهيم أطفيش - مطبعة الشباب القاهرة 1350 هـ .
- 11 - مهدي طالب هاشم - الحركة الإباضية في المشرق العربي - دار الإتحاد العربي للطباعة القاهرة 1981 م .
- 12 - يحيى محمد بكوش فقه الإمام جابر بن زيد - المطبعة العربية - غرداية 1988 .
- 13 - الدكتور يوسف القرضاوي - الصحو الإسلامية بين الجحود والتطرف ، طبعة 2 - قسنطينة .
- 14 - أبو الأعلى المودودي - الخلافة والملك - شركة الشهاب - باتنة 1986 .

- 15 - رسالة جامعية للأستاذ عمرو مسعود أبو القاسم الكباوي - الربيع
بن حبيب محدثا - المطبعة العربية - غرداية 1994 .
- 16 - أحمد بن سعيد الشماخي - كتاب السيرة - ط.ج - قسنطينة
1301 هـ .

المخطوطات :

- أ - حركة الإصلاح بغرداية لعمر بن إبراهيم رأسنعام .
- ب - كتاب رجال حزب الإصلاح بميزاب لأهل عمان - عمان .
- ج - حديث شامل مع الشيخ نوح مصباح - حول الحركة الإصلاحية في
غرداية .

الفهرس

5.....	المقدمة
9.....	الشخصية الأولى : الإمام جابر بن زيد
19.....	الشخصية الثانية : الإمام عبد الله بن إياض
31.....	الشخصية الثالثة : الإمام أبو عبيد مسلم بن أبي كريمة
41.....	الشخصية الرابعة : الإمام الربيع بن حبيب
51.....	الشخصية الخامسة : الإمام الجلندی بن مسعود
57.....	الشخصية السادسة : الإمام عبد الرحمن بن رستم
65.....	الشخصية السابعة : الإمام عبد الله بن حميد السالمي
73.....	الشخصية الثامنة : قطب الأئمة محمد بن يوسف أطفیش
81.....	الشخصية التاسعة : الإمام إبراهيم بن عمر ييوز
89.....	الشخصية العاشرة : الشيخ علي يحيى معمر
97.....	الشخصية الحادية عشرة : الجندي المجهول الشيخ صالح بن قاسم بابكر
115.....	الخاتمة
117.....	أهم مصادر البحث
120.....	الفهرس

المطبعة المربية
نج طالبی أحمد غداية

الايداع القانوني رقم: 92 / 11 / 94

